كتاب

شعراء النصرانية

بعد الاسلام

القسم الاول

الشعراء المخضرمون

تأليف

الاب لويس شيخو اليسوعي

ظهر تباعاً في مجلة المشرق

طُبع

في المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين

في بيروت

سنة ١٩٢٤

كتاب

شعراء النصرانية

بعد الاسلام

تمهيد

قد بيَّنَّا للادباء سابقاً ما كان للنصرانيَّة من السهم الوافي بين شعراء الجاهليَّة . وها نحن نتتبع آثار الشعراء النصارى الذين نبغوا بعد ظهور الاسلام مستندين في قولنا الى اقدم تآليف العرب لاسيَّا مؤرخي المسلمين وممَّا تيسَّر لنا جمعهُ من مكاتب اوربَّة ومصر ومن خزائن الخاصَّة في انحاء الشرق ولاسيما من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة ونباشر بذكر الذين اشتهروا في اوَّل بزوغ الدين الاسلامي من المخضرمين وعلى الله الاتكال

القسم الاوَّل

الشعراء المُخَضْرَمون

من المعلوم انَّ المُخَضْرَم ويقال المحضرم من عاش مدَّةً في الجاهليَّة قبل الهجرة وادرك الاسلام فعاش في زمن نبيِّهِ او في عهد خلفائهِ الاوَّلين

١ عثمان بن الحويرث

هو عثمان بن الحُوَيرِث بن أَسد بن عبد العزّى بن قُصيّ القرشيّ كان من جملة الحنفاء الذين اعتزلوا عن قومهم وطلبوا الدين الحقّ ثم تنصّروا. قال احمد ابن واضح الشهير باليعقوبيّ في تاريخهِ (طبعة ليدن ١ :٢٩٨): «تنصّر من احياء العرب قومٌ من قريش من بني اسد بن عبد العزّى منهم عثمان بن الحُويرث بن اسد بن عبد العزّى وورقة بن نوفل بن اسد». وكان عثمان من قرابة ورَقة جدُّهما اسد بن عبد العزّى وكلاهما من قرابة رسول الاسلام

وقد جاء ذكر عثمان في اخبار أيّام العرب في ذكر الفِجار الثاني. وهي حربٌ جرت بين قريش وهَوازن نحو السنة ٥٩٠ اعني ثلاثين سنة قبل الهجرة. قال صاحب الاغاني انَّ عثمان بن الحويرث «كان على بني عبد الدار ولِفّها» فتولّى قيادتهم في محاربة هوازن

امّا تنصُّرهُ فقد رواهُ ابن هشام في سيرة الرسول قال (ص ١٤٣—١٤٤ éd. Wüstenfeld):

« اجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من اصنامهم كانوا يعظّمونهُ وينحرون لهُ ويعتكفون عندهُ ويدورون بهِ وكان ذلك عيدًا لهم كلّ سنة يوماً فخلص منهم اربعة نجيًّا ثمّ قال بعضهم لبعض: تصادقوا وليَكتم بعضكم على بعض. قالوا: أجَل. وهم: ورقة بن نوفل. وعبيدالله بن جحش ... وعثمان بن الحويرث ... وزيد بن عمرو بن نفيل ... فقال بعضهم لبعض: «تعلّموا والله ما قومُكم على شيءٍ لقد اخطأوا دين ابيهم ابرهيم. ما حجَرٌ نُطيف به لا يسمع ولا يُبصر ولا يضرُّ ولا ينفع. يا قوم التمسوا لانفسكم دينًا فانكم والله ما انتم على شيء» فتفرّقوا في البلدان يلتمسون الحنيفيّة دين ابرهيم. فامّا ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانيّة ... وامّا عُبَيْد الله بن جحش فاقام على ما هو عليه من الالتباس حتّى اسلم ثمّ هاجر مع المسلمين الى الحبشة ومعهُ امرأتهُ ام حبيبة ابنة ابي سفيان مسلمةً فلمّا قدماها تنصّر وفارق الاسلام حتّى هلك هناك نصرانيًّا . . . وامّا عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصّر وحسنت منزلتهُ عندهُ. ولهُ عند قيصر حديث ... »

. وهذا الحديث الذي لم يذكرهُ ابن هشام في السيرة فقد رواهُ الامام ابو عبدالله محمّد بن اسحاق الفاكهيّ من اقدم كتبة الاسلام في كتابهِ المنتقى من اخبار امّ القرى قال (ص ١٤٣—١٤٤ éd. Wüstenfeld):

تملُّك عثمان بن الحويرث بن اسد على قريش بمكَّة

قال الزبير بن بكّار فيما رويناهُ عنهُ : حدَّثني علي بن صالح . . . عن عروة بن الزبير قال : خرج عثمان بن الحويرث وكان يطمع ان يملك قريشاً وكان من اظرف قريش وأعقلها حتى قدم على قيصر وقد رأى موضع حاجتهم اليهِ ومتجرهم من بلاده فذكر لهُ مكّة ورغَّبهُ فيها وقال : « تكون زيادةً في ملكك كما ملك كسرى صنعاء » فملَّكهُ عليهم وكتب لهُ اليهم . فلمّا قدم عليهم قال : «يا قوم انَّ قيصر قد علمتم أمانكم ببلاده وما تصيبون من التجارة في كنفهِ وقد ملَّكني عليكم وانما انا ابنُ عمّكم وأحدُكم وانّما آخذ منكم الجراب من القرَظ والعُكَّة من السمن والاوهاب فأَجمعُ ذلك ثمَّ ابعثُ بهِ اليهِ . وانا اخاف ان أبيتم ذلك ان يمنع منكم الشام فلا تتجروا بهِ وينقطع مَرْفقكم منهُ » . فلمّا قال لهم ذلك خافوا قيصر واخذ بقلوبهم ما ذكر من متجرهم فاجمعوا على ان يعقدوا على رأسهِ التاج عشيَّةً وفارقوهُ على ذلك . فلمّا طافوا عشيَّةً بعث اللهعليهِ ابنَ عمهِ ابا زمَعة الاسود بن المطلب بن اسد فصاح على أحفل ما كانت قريش في الطواف وقال : «عباذُ الله ملك تهامة»فانحاشوا انحياش حُمر الوحش ثمَّ قالوا : «صدقتَ واللات والعزَّى ما كان بتهامة ملكٌ قطّ» فانتفضت قريش عمّا كانت قالت لهُ . ولحق (عثمان) القيصر ليُعلمهُ . ثمَّ روى الزبير بسندهِ ان قيصر حمل عثمان على بغلة عليها سرجٌ عليهِ الذهب حين ملَّكهُ . قال الزبير : اتى عثمان بن الحويرث حين قدم مكّة بكتاب قيصر مختوم في اسفلهِ بالذهب . . . . وذكر الزبير خبرًا فيما انتهى اليهِ امر عثمان بن الحويرث وملخّص ذلك انهُ خرج الى قيصر بالشام . فسأل تجارُ قريش بالشام عمرَو بن جفنة الغسّاني ان يُفسد على عثمان عند قيصر . فسأل عمرو في ذلك ترجمان قيصر فاخبر الترجمانُ قيصر عن عثمان حين حضر عثمان وترجم عنهُ بان عثمان تسنّم الملك بامر قيصر فاخرجَ عثمان لهُ . ثمَّ تحيَّلَ عثمان حتى عُرف من اين اتى ودخل على قيصر وعرَّفهُ ما يقتضي ان الترجمان كذب . عليه فكتب قيصر الى عمرو بن جَفْنة يأمرهُ بان يحبس لعثمان من اراد حَبْسَهُ من تجّار قريش بالشام . ففعل ذلك عمرو ثمَّ سُمّ عثمان فمات بالشام . (قال) وذكرنا هذا الخبر بنصّه في اصل هذا الكتاب

ومما ذكرهُ ياقوت عن عثمان في معجم البلدان (١ : ١٢٨) انهُ كان « هجاء لقريش عالمًا بمثالبها» . ولعثمان شعرٌ لم نقف منهُ الّا على ابياتٍ نقلناها عن كتاب البيان والتبيين للجاحظ عن نسخة باريس (Ms de Paris, 2657 ff. 338) يهجو بهـا عمرو بن العاص (من الطويل) :

لهُ أبوانِ فهو يُدعى اليهما وشرُّ العبادِ من لهُ ابوانِ

وقد حكما فيهِ لِتصدُقَ امُّهُ وكان لهـا علمٌ بهِ ببيـانِ

فقالت صراحًا وهي تعلم غيرهُ ولكنهـا تهذي بغير لسانِ

٢ الحارث بن كَلَدة

هو الحارث بن كَلَدة بن عمرو بن علاج الثقفي كان نصرانيًّا على مذهب النساطرة قال جمال الدين ابن القفطي في تاريخ الحكماء (ص١٦١) : « الحرث بن كلدة . . . طبيب العرب في وقتهِ اصلهُ من ثقيف من اهل الطائف . رحل الى ارض فارس واخذ الطبّ من اهل تلك الديار من اهل جنديسابور (١ وغيرها في الجاهليّة قبل الاسلام وجاد في هذه الصناعة وطَبَّ بارض فارس وعالج وحصل لهُ بذلك مالٌ كثير هناك وشهد اهل فارس ممَّن رآهُ بعلمهِ وكان قد عالَج بعض اجلّائهم (٢ فبرأ واعطاهُ مالًا وجاريةً سمَّاها الحارث سُمَيَّة ثمَّ ان نفسَهُ اشتاقت الى بلادهِ فرجع الى الطائف واشتهر طبُّهُ بين العرب وكان رسول الاسلام (صلعم) يأمر من كانت بهِ علّة أن يأتيهُ فيسألهُ عن علّتهِ . . قال ابو عمر : امر رسول الله (صلعم) سعد بن ابي وقّاص بأن يأتيهُ فيستوصفهُ في مرض نزل بهِ فيدلُّ انهُ جائز ان يشاور اهل الكفر في الطبّ اذ كان من اهلهِ والله اعلم

« قال محمَّد بن زياد الاعرابي : وكان للحارث بن كلدة تقدُّم في النحو واللغة . قال ابو عمر : ومات الحارث بن كلدة في اوّل الاسلام ولم يصحّ اسلامهُ . . (قال) وكان الحرث يضرب العود تعلَّم ذلك ايضاً بفارس واليمن وبقي الى زمن معاوية فقال لهُ معاوية : ما الطبّ يا حارث ؟ فقال : الأَزْمُ يا معاوية (يعني الجوع والحِمْية عن الطعام) . وروى لهُ عبد الرحمان بن ابي بكرة قولهُ : مَنْ سرَّهُ البقاء والإِبقاء فليباكر الغداء وليخفّف الرداء وليُقلّ من غشيان النساء (اراد بخفَّة الرداء أن لا يكون عليهِ دَيْن)

وقد روى ابن ابي اصيبعة اخبار الحارث بن كلدة في كتابهِ عيون الانباء في طبقات الاطباء (١ : ١٠٩–١١٣) قال عنهُ « انهُ بقي ايَّام رسول الله (صلعم) وايَّام ابي بكر وعثمان وعليّ ومعاوية . قال ابو زيد : وكانت للحارث معالجات كثيرة ومعرفة بما كانت العرب تعتادهُ وتحتاج اليهِ . (قال) وللحارث بن كلدة من الكتب كتاب

---

١) جنديسابور مدينة قديمة في العجم كان لنصارى الكلدان فيها مدرسة طبّ شهيرة

٢) دعاهُ ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد (٣ : ٢) ابا الخير بن عمرو الكندي وفي معجم البلدان لياقوت (٢ : ٩٥٢) عن ابن الكلبيّ انَّ الذي عالجهُ هو النوشجاني كان جُذم فعالجه اطباء فارس فلم ينجحوا فشفاهُ الحارث بن كلدة

المحاورة في الطبّ بينهُ وبين كسرى انو شروان » . ورُوي هناك (ص ١١٠) بعض كلامهِ مع كسرى عن الطبّ وخواصّهِ

امّا شعر الحارث بن كلدة فروى لـهُ ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد (٣: ١١٤) ابياتاً قالها في يوم الحُرَيرة وهو احد ايّام حرب الفجار الآخِر كان لهوازن على كنانة وقريش (من الكامل) :

تركتُ الفارسَ البذّاخَ منهم تَمُجُّ عروقُـهُ عَلَقـاً عبيطـا
دعستُ بَنانَـهُ بالرمح حتى سمعتُ لمتنـهِ فيـهِ أطيطـا
لقد أَرديتُ قومَك يا ابن صخرٍ وقـد جَشَّمتَهم امرًا شَطيطـا
وكم اسلمتُ منـكم من كميٍّ جريحاً قد سمعتُ لهُ غَطيطـا

وروى لهُ ايضاً البحتري في حماستهِ (ع٣٨١) وصاحب مجموعة المعاني (ص٦٤) قولهُ في المؤاخاة عند الرخاء والخذلان عند الشدَّة (من الطويل) :

فـأَمَّا اذا آستغنيتمُ فعـدوُّكم وأُدعى اذا ما الدهرُ نابت نوائبُهْ
فان يكُ خيرٌ فـالبعيدُ ينالُـهُ وان يكُ شرٌّ فابنُ عمّكَ صاحبُهْ

وهذه ابيات ذكرهـا لهُ صاحب الحماسة البصريّة (ج ٢ ص ٣٣ من نسخة مكتبتنا الشرقيّة وقال انّها تروى ايضاً لغيلان بن سَلَمة الثقفي وهي(من الوافر) :

أَلا أَبلـغْ مُعـاتَبَتي وقولي بني عمّي فقـد حَسُنَ العِتابُ
وسَلْ هل كان لي ذَنْبٌ اليهم همُ منـهُ فأَعتبَـهُ غِضـابُ
كتبتُ اليهم كتبـاً مرارًا فـلم يرجع اليَّ لهـا جوابُ
فمـا ادري أَغيَّرَهمُ تَنَاءٍ وطولُ العهـدِ ام مالٌ اصابوا
فمن يكُ لا يدومُ لـهُ وفـاءٌ وفيهِ حين يغترِبُ انقـلابُ
فعهـدي دائمٌ لهمُ وودّي على حالٍ اذا شهدوا وغـابوا

وممّا رُوي للحارث بن كلدة في كتاب حماسة ابن الشجري (نسخة مكتبة باريس ص ٧٦) بيتان رواهما الجاحظ في كتاب البيان والتبيين للحارث بن حلِّزة (اطلب الصفحة ٣٠ من ديوانهِ الذي طُبع في المشرق قبلًا من البسيط):

لا أَعرفنَّكَ إنْ أَرسلتَ قافيةً تُلقي المعاذير ان لم تنفع العِذَرُ

انَّ السعيدَ لهُ في غيرهِ عظةٌ وفي التجارب تحكيمٌ ومعتبَرُ

والحارث بن كلَدة هو ابو النضر بن الحارث وكان ابن خالة نبيّ الاسلام وكان نصرانياً كابيهِ قال ابن ابي اصيبعة(١ :١٢٣): «انهُ سافر البلاد كابيهِ واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكّة وغيرها وعاشر الاحبار والكهنة واشتغل وحصَّل من العلوم القديمة اشياء جليلة القدر واطَّلع على علوم الفلسفة واجزاء الحكمة وتعلَّم من ابيهِ ايضاً ما كان يعلمهُ من الطبّ وغيرهِ» على انَّهُ كان معادياً لرسول المسلمين اذا سمع القرآن اعرض عنهُ واستهزأ بهِ ثمَّ حاربهُ يوم بدر فكان من جملة الأسورين مع عُقبة ابن ابي مُعَيط فقتلهما محمَّد بعد مصرفهِ من بدر في الصفراء على ثلثة اميال من المدينة في السنة الثانية من الهجرة. فأتت اخت النضر قتيلة بنت الحارث الى الرسول وقالت ترثي اخاها (من الكامل):

يا راكباً انَّ الأُثَيل مَظِنَّةٌ من صُبحِ خامسةٍ وانت موفَّقُ(١

بَلِّغ بهِ ميتاً فانَّ تحيَّةً ما إنْ تزالُ بها الركائبُ تخفقُ(٢

منّي اليهِ وعَبرةً مسفوحةً جادت بُدرَّتها واخرى تخنُقُ(٣

فليسْمَعنَّ النَّضرُ ان ناديتَهُ ان كان يسمع ميّتٌ او يَنطِقُ(٤

ظلَّت سيوفُ بني ابيهِ تنوشُهُ لِلّهِ ارحامٌ هناكَ تُمزَّقُ(٥

صبرًا يُقاد الى المنيَّةِ مُتعَباً رَسْفَ المقيَّدِ وهو عانٍ موثَقُ

١) الأُثَيل موضع فيهِ قبر النضر ٢) يروى: أَبلغ . . بانَّ . . . بها النجائبُ
٣) يروى: جادت لسائحها. وجادت لمائحها . . . تخنق
٤) يروى: هل يسمعني . . ام كيف يسمع هالك لا ينطق ٥) ويروى: تشقَّق

أَمحمَّدٌ ولأَنتَ نسلُ نجيبةٍ (١ في قومها والفحلُ فَحلٌ معْرِقُ
ما كان ضرَّكَ لو مننتَ وربَّما منَّ الفتى وهو المَغيظُ المُحنَقُ
والنضرُ اقربُ من اخذتَ بزلَّةٍ (٢ واحقُّهم ان كان عِتقٌ يُعتَقُ
لو كنتَ قابلَ فديةٍ لَفديتُهُ بأعزِّ ما يُفدى بهِ من يُنفِقُ (٣

قال ابو الفرج الاصبهاني: فبلغنا ان النبيّ صلعم قال : لو سمعتُ هذا قبل ان اقتلهُ ما قتلتُهُ . فيقال انَّ شعرها اكرم شعر موتورة واعفُّهُ واكفُّهُ واحلمهُ

٣ ابو القيس صِرْمة الراهب

هو ابو قيس صرمة بن أَنس وقيل ابن ابي انس بن صرمة بن مالك من بني عديّ ابن النجّار من الخزرج وكان يلقَّب بالراهب لنسكهِ . قال في كتاب انساب العرب (Ms. de Paris, Suppl., 3864, ff. 207) وابن اسحاق في سيرة الرسول (ص٣٤٨) : «كان ابو قيس رجلًا قد ترهَّب في الجاهليَّة ولبس المسوح وفارق الاوثان واغتسل من الجنابة وتطهَّر من الحائض من النساء وهمَّ بالنصرانيَّة ثمَّ امسك عنها ودخل بيتاً واتَّخذ مسجداً لا يدخلهُ عليهِ طامث ولا جُنُب وقال: «أَعبدُ ربَّ ابرهيم حين فارق الاوثان وكرهها «حتى قدم رسول الله صلعم الى المدينة فأَسلم فحسُن اسلامهُ وهو شيخ كبير وكان قوَّالًا بالحق معظِّماً لله عزَّ وجلَّ في الجاهليَّة يقول في ذلك الاشعار الحسنة»

هذا ما ورد في كتب الرواة ومن العجب انَّ ابن سعد في طبقاتهِ الكبرى لم يذكرهُ في جملة الصحابة . وفي تلقيب القدماء لهُ بالراهب دليل كافٍ على نصرانيَّتهِ وقد قال رسول المسلمين «لا رهبانيَّة في الاسلام» . ولا ندرك قولَهم «همَّ بالنصرانيَّة ثم امسك عنها» وهم يردفونهُ بقولهم انهُ «دخل البيت واتَّخذ لهُ مسجداً لا تدخلهُ النساء» وكل ذلك من اعمال رهبان النصارى . ففي قولهم اذن نظرٌ وكذلك في

١) ويروى : يا خير ضِنءِ كريمةٍ ٢) ويروى : من اسرتَ قرابةً . ويروى ايضاً : من اصبتَ وسيلةً ٣) ويروى : او كنت . . . ينلو لديك وينفقُ

زعمهم انهُ عاش نحوًا من مائة وعشرين سنة . ولم يذكرهُ ابو حاتم السجستاني في كتاب العمّرين . ويتّفق الذين ذكروهُ على انهُ كان شاعرًا ولهُ الاشعار الحسنة في الدين والادب مع الاشارة الى نصرانيّتهِ . فمن ذلك ما روى لهُ ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٣٤٨) وابن الاثير في أُسد الغابة في معرفة الصحابة (٥ : ٢٧٨) وابن حجر العسقلاني في تمييز الصحابة (٢ : ٤٨٦) وغيرهم ما يدلّ على رهبانيّته (من الطويل) :

يقول ابو قيسٍ وأَصبحَ غادياً ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا (١

اوصيكمُ باللهِ والبرِّ والتقى وأَعراضِكم والبرُّ باللهِ اوّلُ (٢

وانْ قومُكُم سادوا فلا تحسُدُنَّهم وان كنتمُ اهل السيادة فأعدِلوا (٣

وان نزلَتْ احدى الدواهي بقومكم فأَنفُسَكم دون العشيرةِ فاجعلوا

وإن نابَ غُرمٌ فادحٌ فأرفقوهمُ (٤ وما حَمَّلوكم في المُلِمَّات فاحملوا

وان انتمُ أَمعَرْتمُ (٥ فتعفّفوا وان كان فضلُ الخير فيكم فأَفضلوا

ومن وصاياهُ التقويّة في الجاهليّة قولهُ (من الخفيف) :

سبِّحوا الله شَرْقَ كلّ صباحٍ طلعَتْ شمسُهُ وكلّ هلالِ

عالمُ السرّ والبيانِ لدينا (٦ ليس ما قالَ ربُّنا بضَلالِ

ولهُ الطيرُ تستريدُ وتأْوي في وكورٍ من آمناتِ الجبالِ

ولهُ الوحشُ بالفلاة تَراها في حِقافٍ وفي ظِلالِ الرمالِ

ولهُ هَوَّدت يهودُ ودانت كلُّ عينٍ إذا ذكرتَ عُضالِ

ولهُ شمَّسَ النصارى وقاموا كلَّ عيدٍ لربّهم واحتفالِ

ولهُ الراهبُ الحبيسُ تراهُ رَهْنَ بؤْسٍ وكان ناعمَ بالِ

١— ويروى : واصبح ناصحاً . . من وصاتي ٢) ويروى : واوصيكُم بالخير والبرّ . . واعراضكم بالله والبرُّ اوَّلُ ٣) ويروى : اهل الرئاسة ٤) ويروى : امرٌ خارج فاردفوهمُ ٥) ويروى : أَملقتمُ ٦) ويروى : جميعًا

يا بنيَّ الأَرحامَ لا تقطعوها وصِلُوها قصيرةً من طِوالِ (١
واتَّقوا الله في ضعافِ اليتامى رُبَّما يستَحِلُّ غيرُ الحلالِ
واعلموا انَّ لليتيمِ وليّاً عالماً يهتدي بغيرِ السؤالِ
ثمَّ مالَ اليتيمِ لا تأكلوهُ انَّ مالَ اليتيم يرعاهُ والي
يا بنيَّ التخومَ (٢ لا تخزلوها انَّ خَزْلَ التخوم ذو عُقَّالِ
يا بنيَّ الايَّامَ لا تأمنوها واحذروا مَكْرَها (٣ ومرَّ الليالي
واعلموا انَّ مَرَّها (٤ لنَفادِ م الخلقِ ما كان من جديدٍ وبالِ
واجمعوا أَمرَكم على البرّ والتقوى م وتَرْكِ الخنا وأَخْذ الحلالِ

ومما رُوي لهُ في الاسلام مشيرًا الى نبيّهم قولهُ وفيهِ ايضاً دلائل على نصرانيَّتهِ حيث يذكر « صلاتهُ في كلّ بيعةٍ » (طويل) :

ثوَى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حجَّةٍ يذكّر لو يَلْقى صديقاً موَاتيا
ويَعْرض في اهل المواسم عِرْضَهُ فلم يرَ من يُؤمن ولم يرَ داعيا (٥
فلمَّا اتانا اظهر الله دينَهُ فأصبح مسرورًا بطَيْبَةَ راضيا
وأَلفَى صديقاً واطمأَنّت بهِ النوى وكان لنا (٦ عوناً من الله باديا

١) قيل في شرحها : هذا يحتمل تأويلين : احدُهما ان يُريد «صِلوا قِصَرها من طولكم» اي كونوا انتم طوالًا بالصلة والبرّ ان قَصُرت هي . . والتأويل الآخر ان يريد مدحاً لقومهِ بانَّ ارحامهم قصيرة النسب ولكنَّها من قوم طوال كما قال الطائي :

انتم بنو النَّسب القصير وطولكم بادٍ على الكُبَراء والأشرافِ

والنسب القصير ان يقول «انا ابن فلان» فيُعرف وتلك صفة الاشراف ومن ليس بشريف لا يُعرف حتى يأتي بنسبةٍ طويلة يبلغ بها رأس القبيلة ٢) قال ثعلب : التُخوم واحد والتخوم جمع اي حدود الارض ٣) ويروى : كَرَّها ٤) ويروى : امرها ٥) ويروى : ويعرضُ . . . نفسهُ . . من الناس داعيا ٦) ويروى : وكان لهُ . ويروى ايضاً : وكنّا لهُ

يَقُصُّ لنا ما قال نوحٌ لقومهِ   وما قال موسى اذ اجاب المُناديا
واصبح لا يخشى عداوةَ واحدٍ(١   قريباً ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا لهُ الاموال من جُلّ مالنا   وأنفُسنا عند الوغى والتآسيا
ونعلَمُ انَّ الله لا شيءَ غيرُهُ   ونعلمُ انَّ اللهَ افضلُ هاديا
نعادي الذي عادى من الناس كلِّهم   جميعاً وان كان الحبيبَ المصافيا
اقول اذا صلَّيتُ (٢ في كلّ بيعةٍ   تباركْتَ قد اكثرتَ لاسمك داعيا
اقول اذا جاوزتُ ارضاً مخوفةً   حَنانَيك لا تُظهر عليَّ الاعاديا
فطَأْ مُعْرضاً انَّ الحُتوفَ كثيرةٌ   وانك لا تُبقي بنفسك باقيا (٣
فوالله ما يدري الفتى كيف يتّقي   اذا هو لم يجعل لهُ اللهَ واقيا
ولا تَحفِلُ النَّخلُ المقيمةُ ربَّها   اذا اصبحت ريًّا واصبح ثاويا
بدا ليَ ان عشتُ تسعين حجَّةً   وعَشْرٌ اوّل وما بعدها ثمانيا(٤
فكم أَلْفها لمّا مضَتْ وعددتُها   بحسْبها في الدهر ولا لياليا

٤ أكثم بن صَيْفي

هو أكثم بن صيفي بن رُباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أُسيّد بن عمرو بن تميم اشهر حكّام العرب في الجاهليَّة وحكمائهم وخطبائهم كان من نصارى تميم وادرك الاسلام. ويقول بعض الكتبة ارسل وفدًا من قومهِ الى نبيّ المسلمين مع ابنهِ حبيش فلمّا رجعوا أعلموهُ بأمرهِ فاستحسن طريقتهُ وحضّ قومهُ

١) ويروى: من الناس واحدًا   ٢) ويروى: اذا أدعوكَ
٣) ويروى: وانك لا تبقى لنفسك . ويروى هذا البيت والذي بعدهُ لافنون الشاعر (شعراء النصرانيّة ص١٩٣)   ٤) كذا روى ابن حَجَر هذا البيت وما بعدهُ وكلاهما مختلّ الوزن

على اتّباعها وانهُ حاول الخروج الى محمّد فمات قبل اجتماعهِ بهِ والله اعلم

وكان اكثم احد المعمّرين ذكرهُ ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمّرين .éd) Goldziher, 9-18) ومما رووا لهُ في ذلك قولهُ (من الطويل حماسة البحتري ع ٤٦١) :

وانَّ امرءًا قد عاش تسعينَ حِجَّةً الى مائةٍ لم يَسأَمِ العيشَ جاهِلُ

مضت مئتانِ غيرَ ستٍّ واربعٍ وذلك من عدِّ الليالي قلائلُ

فان صحَّ قولهُ يكون بلغ من العمر مائةً وتسعين سنة . على انَّ لهذين البيتين روايةً اخرى لعلّها هي الصحيحة تجعل عمرهُ خمساً وتسعين سنة فقط وهي :

وانَّ امرءًا قد عاش تسعين حجَّةً لخمسٍ ولم يسأمِ العيش جاهلُ

فلا ترجُ عمرًا بعدَ مَن فادَ انّما بقاؤكَ في الدنيا ليالٍ قلائل

وكان العرب يتقاضون الى اكثم ولا يردُّون حكمهُ لنزاهتهِ وبرّه . روى في الاغاني (١٥ : ٧٣) رَفْع قبيلتَي الرِّباب وسعد دعواهما الى حكمهِ . واخبر السجستاني (ص ١٢) انَّ القَعْقاع وخالد بن مالك بن سَلْم النهشلي تنافرا الى اكثم بن صيفي ايُّهما اقرب الى المجد والسؤدد فقال : سفيهان يريدانِ الشرَّ ارجعا فان أَبَيْتُما فاني لست مفضِّلًا احدًا من قومي على احدٍ كلُّهم اليَّ شَرَعٌ سواء . وخلا بكل واحدٍ منهما يسألهُ الرجوع عمَّا جاء لهُ فلمَّا ابيا بعث معهما رجلًا الى ربيعة بن حُذار الاسدي وحبس عنده إبلهما فغضبا وطلبا ردّها بعنف فقال اكثم (طويل) :

نُبِّئتُ انَّ الأَقرعَيْنِ وخالدًا ارادوا بأن يستنقصوا عزَّ أَكثما

(فويلُ اُمّهم لن يستطيعوا المأربِ) بعَمْدٍ ارادوا أَن أَنامَ ويغنما

قال : اي يغنم خالد . وقال اكثم (طويل) :

سأحبسها حتى يبين سبيلُها ويَسرحُها تُحدَى الى الحيِّ اسلَمُ

ويمنعُها قومي وتمنعُها يدي وجرداءُ من اهل الأَفاقة صِلْدِمُ

واخبر ابو حاتم السجستاني ايضاً انَّ النعمان بن المنذر اصاب اسارى من تميم وحبسهم بالحيرة والقُطقُطانة فركب اليهِ وفودُهم وفيهم اكثم بن صيفي حتى انتهوا الى النَّجَف ثمَّ قدموا الحيرة واقاموا مدَّةً لم يحظوا بالدخول على النعمان ثمَّ شخص النعمان الى القُطقُطانة موضع في البرّيَّة قرب الكوفة حيث كان سجنُ النعمان فسار الوفد اليها وهجم اكثم على بابها ونادى حارسَ السجن بقولهِ (من الرجز) :

يا حَمَلَ بنَ مالكِ بنِ أهبانْ   هَلْ تُبلغنَّ ما اقولُ النُّعمانْ
انَّ الطعام كان عيشَ الانسانْ   اهلَكْتَني بالحبس بعد الحِرمانْ
من بين عارٍ جائعٍ وعَطْشانْ   وذاكَ من شرِّ حِباء الضِيفانْ

فسمع النعمان صوته واذن لوفد تميم ان يأتوهُ وقال: مرحباً بكم سَلُوني ما شئتم الّا اسارى عندي . فطلب اليهِ القوم حوائجهم وأبى اكثم ان يسألهُ فقال لهُ النعمان: ما يمنعُك . فقال اكثم : ابيتَ اللعن قد علم قومي اني من اكثرهم مالاً ولم اسأل احداً شيئاً انَّ المسئلة من أضعف المكسبة وقد تجوع الحرَّة ولا تأكل بثَدْيَيْها . فقال النعمان : صدقتَ سَلْ حاجتك . فقال : ناقتك برَحلها و خِلْعَتك وكلَّ مكروب بالقُطقُطانة والحيرة عرفَني . قال : ذلك لك . فركب ناقتهُ في كِسْوتهِ ثمَّ نادى يا اهل السجن انَّ النعمان قد جعل لي مَنْ عرفني . قالوا : كلُّنا نعرفك انت اكثم بن صيفي . ثمَّ فعل مثل ذلك بالحيرة فأخرجهم ثمَّ قال (من الوافر) :

ثوَيْنا بالقَطاقِطِ ما ثوَيْنا   وبالعَبْرَيْن حولًا ما نَريمُ (١
وأُخبِرَ اهلُنا ان قد هلكنا   وقد اعيا الكواهنُ والنُجُومُ
وآسانا على ما كان اوسٌ   وبعضُ القوم مَلْحيٌّ ذَميمُ

---

١) القطاقِط هي القُطقُطانة السابق ذكرها . وقال ياقوت (٣: ٦٠٥) « انَّ العَبْرين موضع» . ولم يَزِدْ ايضاحاً . ويروى : العرينَين

فقلتُ لهم أيا قومي أبانت فكونوا الناهضينَ بها وقوموا
بوَفدٍ من سَراة بني تميمٍ الى أمثالهم لجأ اليتيمُ
فانكمُ لأن تكفوهُ اهلٌ عليكم حقُّ قومكمُ قديمُ
وانكمُ بعقوةِ ذي بلاءٍ وحقُّ الملْكِ مكشوفٌ عظيمُ

هذا ما وجدنا من شعر اكثم بن صيفي. امّا حكمهُ فكثيرة لو جُمع ما بقي منها لأنافت على عدّة صفحات. وقد عُرف اكثم بحكمتهِ حتى ضُرب بهِ المثل في ذلك وكاتبهُ الملوك يطلبون اقوالهُ. منهم ملك هَجَر او نجران طلب ان يكتب اليهِ باشياء ينتفع بها وان يُوجز. فكتب اليهِ (كتاب المعمّرين ص ١٦) : « ان احمقَ الحمق الفجور. وأمثل الاشياء تركُ الفضول. واياك والتبذير فانَّ التبذير مفتاحُ البؤس. واحوجُ الناس الى الغنى مَنْ لا يُصلحهُ الّا الغِنى واولئك الملوك. وحبُّ المديح رأسُ الضَّياع. وفي المشورة صلاح الرعيَّة ومادَّةُ الرأي. ورضا الناس غايةٌ لا تُدرك فتحَرَّ الخير بجهدك ولا تحفِل سُخط مَنْ رِضاهُ الجور .. الخ »

وروى لهُ هناك حكماً اقترحها عليهِ ملك عرب الشام الحارث بن ابي شمّر الغسّاني ليُرسلها الى هرقل ملك الروم فيعرف انَّ في العرب مثل خطباء غسّان حكمةً وعقولاً وألسنةً. فاجاب أكثم الى امرهِ. وكذلك نقلوا عن اكثم حكماً بليغة كتبها لبعض ملوك فارس الذي كان عيَّر العرب بخفَّةِ احلامهم وقلّة عقولهم فأمرهُ النعمان بن المنذر ان يبيّن لهُ شيئاً يُعجَب بهِ ملك فارس ويرغّبهُ بهِ في العرب. فكتب: «لن يهلكَ امرؤٌ حتى يضيّعَ الرأيَ عند فعلهِ ويستبدَّ على قومهِ بأمرهِ ويُعجَب بما ظهر من مروءتهِ ويغترّ بقوَّتهِ والامرُ يأتيهِ من فوقهِ. والى الله تصير المصائر» وهي طويلة اكتفينا بهذا

ولمّا كان يوم الكُلاب اشار اكثم على قومهِ بني تميم حين سارت اليهم مَذحِجٌ باجمعها فقال: « استشيروا وأَقِلُّوا الخلاف على امرائكم وكونوا جميعاً فان الجميعَ غالبٌ ولا جماعة لمن اختلف. تثبَّتوا ولا تُسارعوا فانَّ احزم الفريقين اركَنُهما وربَّ عجلةٍ تهَبُ ريثاً »

ومما يدلّ على نصرانيَّة اكثم عدَّة حكم اخذها من الانجيل المقدَّس والاسفار الالهيَّة هذه البعض منها تُروى في العقد الفريد لابن عبد ربّهِ وفي كتاب المعمّرين وفي شرح رسالة ابن زيدون كقولهِ: «أَحسِن يُحسَن اليك. ولكل عمل ثواب. ارحم تُرحم. وكما تدين تدان. وستُساق الى ما انت لاقٍ. ولا تُلزم أَخاك ما ساءَك. ولا تكوننَّ راضياً بالقول. ففضل الفعل على القول مكرُمة. حيلةُ ما لا حيلة لهُ الصبر. واستر سوءة اخيك لما تعرفُ فيك. والدالُّ على الخير كفاعلهِ. وجازِ بالحسَنَة ولا تكافئ بالسيئة. افضلُ الزاد ما تُزُوِّد للمعاد»

ولمّا حضرت اكثم بن صيفي الوفاة جمع ولدهُ وقال: «يا بنيَّ الدهرُ قد ادَّبني وقد احببتُ أَن أُؤَدّبكم وازوّدكم امرًا يكون لكم بعدي مَعقلًا. يا بنيَّ تباروا فانَّ البرَّ يُنسئ في الاجل ويُنمي العدد وكفُّوا أَلسنتكم فانَّ مقتل الرجل بين فكّيهِ والصدقُ منجاة ومن قُنع بما هو فيهِ قرَّت عينهُ فانَّ مَصارع الالباب تحت ظلال الطمع ومَن سلك الجدَد أَمِن العِثار وخير الامور اوساطها والمِكثار كحاطب ليل ومن اكثر سَقَطَ. لا تمنعنَّكم مساوئ رجلٍ من ذكر محاسنهِ والحرُّ حرٌّ وان مَسَّهُ الضرّ ...»

٥ عبد المسيح بن بُقَيْلة

احد اعيان نصارى الحيرة الذي اشتهر في الجاهليَّة واوَّل الاسلام. ولشهرتهِ وشيوع اخبارهِ نُسبت اليهِ امور غريبة كقصّتهِ مع سطيح الغسّاني وكزعمهم انهُ عاش ٣٥٠ سنة. وكلّ من ذكروهُ مجمعون على شرفهِ وثباتهِ في النصرانيَّة بعد الاسلام ومصالحة خالد بن الوليد قومهُ على يدهِ في الحيرة

قال في معجم الشعراء للمرزبانيّ: «هو عبد المسيح الغسَّاني ابنُ عمرو بن قيس ابن حيّان بن بُقَيْلَة (وفي الاغاني ١٥: ١١ روى نفيلة وهو تصحيف). وبُقَيْلَة اسمهُ ثعلبة بن سُنَيْن (والصواب: سُبَيْن) الحارث. وسُمّي بُقَيْلَة لأنهُ خرج في بُردَين اخضرين فقيل لهُ: يا حارث ما انتَ الّا بُقَيْلة خضراء فغلبت عليهِ». قال ابن دريد في الاشتقاق (ص٢٨٥): «وبنو سُبَيْن في الحيرة منهم بُقيلة صاحب القصر الذي يقال لهُ قصر بني بُقَيلة بالحيرة ومنهم عبد المسيح الذي صالح خالد بنَ الوليد على الحيرة»

وقال ابن الاثير في المرصَّع (ص٤٠): « ابن بُقَيْلة جاهليّ قديم من المعمَّرين يقال انهُ عاش ثلثمائة وخمسين سنة وادرك الاسلام فلم يُسلم وعاش الى ان غزا خالد بن الوليد الحيرة في خلافة الصِدّيق (ابي بكر) رض واسمهُ عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيْلة وكان نصرانيًا ». قال ابو الفرج الاصفهاني (في الاغاني ١٥ : ١١) : « وكان عمرو بن نفيلة (بُقَيْلة) ابو عبد المسيح وزيرًا للنعمان ». وذكرهُ ابو حاتم السجستاني في جملة المعمَّرين (ص ٣٨ éd. Goldziher) . وجاء في كتاب انساب العرب لسَلَمة بن مسلم (Ms de Paris, 2864 ff 197r) : « ومن علماء غسَّان وشعرائهم وملوكهم ومعمَّريهم عبد المسيح بن عمرو ... » وهو ابن اخت سطيح » وورد مثل ذلك في التذكرة الحمدونيَّة (Ms de Berlin, WE, ff. 216r)

وقد روى بعض الكتبة كابن هشام في سيرة الرسول (ص ٩—١١) والطبري في تاريخهِ (١ : ٩٨٣) وابن عبد ربهِ في العقد الفريد (١ : ١٣٣—١٣٤) وابن العربيّ في المحاضرات (٢ : ٥٠—٥١) اخبارًا غريبة مصنوعة عن وفود عبد المسيح بن بُقيلة على سطيح الكاهن خالهِ لا نُعيرها بالًا لما فيها من التباين والتناقض . زعموا انَّ كسرى اوفد عبد المسيح من العراق الى سطيح الذئبي هذا وكان بالشام وهو خالهُ اشبه بنَسناس منهُ بانسان مسخٌ بلا عظام ليفسّر لكسرى رؤيا رآها استدلّ بها على مولد نبي المسلمين وسقوط دولة ملوك العجم بعد اربعة عشر ملكًا . وممَّا رووا هناك من الاشعار لعبد المسيح قولهُ عند قدومهِ على سطيح فوجدهُ مشرفًا على الموت (من الرجز) :

أَصمُّ أَم يسمعُ (١غِطْرِيفُ اليَمَنْ أَمْ فازَ فأَزْ لَمَّ بهِ شأوُ العَنَنْ (٢

يا فاصلَ الخُطَّةِ (٣أَعْيَتْ مَنْ ومَنْ وكاشِفَ الكربة في الوجه الغضَنْ (٤

اتاكَ شيخُ الحيّ من آل سَنَنْ وامُّهُ من آل ذِئب بن حَجَنْ

١) ويروى : ام تسمعُ
٢) ويروى : ام فاز فازلمَّ بهِ ساف العنن
٣) ويروى : وفاصل الخطبة
٤) ويروى : وفارج الكربة في الامر العَنَن

ازرقُ مُمْهَى النابِ(١صرّارالأُذْن ابيضُ فَضْفاضُ الرداء والبَدَنْ

رسول قَيْلِ العُجْم يَسْري للوَسَنْ(٢ يجوبُ بالارضِ علنداةٌ شَجَنْ

يرفعُني وُجْناً ويَهْوِي بي وُجُنْ (٣ لا يرهبُ الرعدَ ولا ريب الزَمَنْ

حتّى أَتى عاري الجآجي والقَطَنْ(٤ تَلُفُّهُ في الريح بَوْغاء الدِمَنْ(٥

كأنّما حَثْحَثَ من حِضنَيْ ثَكَنْ

ثم قال عبد المسيح عند رجوعهِ الى كسرى بعد ان فسَّر لهُ سطيح الرؤيا وقضى نحبهُ (من البسيط) :

شَمِّرْ فانّك ماضي الهمّ شِمّيرُ لا يُفزعنَّك تشديدٌ وتعزيرُ (٦

ان كان(٧ملكُ بني ساسانَ أَفْرَطهم فانّ ذا الدهرَ اطوارٌ دهاريرُ

فربّما اصبحوا منهم بمنزلةٍ (٨ يهابُ صولَهُمُ الأُسْد المهاصيرُ (٩

منهم بنو الصَّرح بهرامٌ(١٠ واخوتهُ والهُرْمُزَانِ وسابورٌ وشابورُ (١١

حَثُّوا المطيَّ وجَدُّوا في رحالِهمِ فما يقوم لهم سرجٌ ولا كُورُ

والناس اولادُ عَلّات فمَنْ عَلِموا أَن قد اقلّ فمهجورٌ ومحقورُ (١٢

وهم بنو آدمٍ لمّا رأوا نسباً وذاك(١٣ بالغَيْب محفوظٌ ومنصورُ

---

١) ويروى : اصكُّ مهمى النابِ ٢) ويروى : يهوي للوسن ٣) ويروى : تحملهُ وجناء تهوي من وجَن ٤) ويروى : غار الجآجي والقطن ٥) ويروى : بوْغا الدمن . وثكن جبل في البيداء ٦) ويروى : تفريقٌ وتغييرُ ٧) ويروى : ان يكُ ٨) ويروى : وربّما ربّما اضحى بمنزلة ٩) ويروى : موتهمُ . . الاهاصير
١٠) ويروى : اخو الصرح مهرانٌ ١١) ويروى : سابورٌ وسابورُ
١٢) ويروى في مجموعة المعاني (ص ٦٥) : فمجفوٌّ ومهجورُ
١٣) ويروى : وهم بنو الامّ يوماً ان رأوا نشباً فذاك . .

والخيرُ والشرُّ مقرونانِ في قَرَنٍ فالخيرُ مُتَّبعُ والشرُّ محذورُ (١

وروى في كتاب الحماسة البصريَّة (ج ٢ ص ٣٢ من نسخة مكتبتنا الشرقيَّة) ابياتاً من هذه القصيدة رواها في التاج (٣: ٢١٩) لغيرهِ من الشعراء (من البسيط):

استَقْدِرِ اللهَ خيرًا وأُرْضَيَنَّ بهِ فبينما العُسْرُ اذ دارت مَياسيرُ
تأتي امورٌ فما تدري أَعاجلُها خيرٌ لنفسكَ ام ما فيهِ تأخيرُ
وبينما المرءُ في الأَحياء مغتبطٌ اذصار في الرَّمس تعفوه الأَعاصيرُ
يبكي الغريبُ عليهِ ليس يعرفُهُ وذو قرابتهِ في الحيّ مسرورُ
حتى كأنْ لم يكن الّا تذكُّرهُ والدهرُ أيَّتَما حينٍ دهاريرُ

ثمَّ أتبعها بالثلثة الابيات الاخيرة السابقة مع اختلاف في بعض الروايات كما اثبتناها

وكان عبد المسيح عابديًا كثير التقى عمَّر ظاهر الحيرة ديرًا بموضع يُقال لهُ الجَرَعة عُرف بدير الجَرَعة وبدير عبد المسيح (معجم البلدان لياقوت ٢: ٦٥١ و٦٧٧). وفي هذا الدير يقول على ما روى ياقوت (من الرمل):

كم تجرَّعتُ بدير الجَرَعهْ غُصَصاً كِبْدي بها مُنْصَدِعَهْ
من بُدورٍ فوق اغصانٍ على كُثُبٍ زُرْنَ احتساباً بِيَعَهْ

وكان قبل تشييدهِ للدير ابتنى قصرًا بالحيرة ذكرهُ ابن حمدون في التذكرة قال: « وهذا القصر هو المعروف بقصر ابن بُقَيْلَة» وروى لهُ بيتين انشدهما لمَّا بناهُ (من الوافر):

---

١) روى ابن هذيل هذا البيت في كتابهِ عين الادب والسياسة (ص ١٢١) بعد قولهِ « شرُّ ما في الكريم ان يَنحك خيرهُ وخيرُ ما في اللئيم ان يكفَّ عنك شرَّهُ»

لقد بنَيْتُ للحدَثانِ حصناً (١ لو أنَّ المرءَ تنفعُـهُ الحصونُ

طويلَ الرأسِ أقْعَسَ مُشْمَخِرًّا لانواع الرياحِ بهِ حَنـينُ (٢

وامّا اخبارهُ مع خالد بن الوليد فـذكرها البلاذري في فتوح البلـدان قال (ص ٢٤٣) : « انَّ خالد بن الوليد سار من اليامـة الى العراق سنة ١٢ ﻫ (٦٣٤ م) قاصدًا الحيرة فخرج اليـه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيَّان بن بُقَيْلة (واسم بُقَيلة الحارث وهو من الأَزْد) وهانئ بن قبيصة بن مسعود الشيباني واياس بن قبيصة الطائي ويقال فَرْوة بن اياس وكان اياس عامل كسرى أبرْويز على الحيرة بعد النعمان ابن المنذر فصالحوهُ على مئة الف درهم ويقال على ثمانين الف درهم في كلّ عام وعلى ان يكونوا عيوناً للمسلمين على اهل فارس وانهُ لا يهدم لهم بيعةً ولا قصرًا . . . وذلك في سنة ١٢ ﻫ . . وكان اهلهـا تحصَّنوا في القصر الابيض وقصر ابن بُقيلة وقصر العَدَسيّين وهم من كَلْب نُسبوا الى امّهم وهي كلبيَّة ايضاً»

وذكر البلاذري هناك حديثاً فكاهياً جرى لخالد مع عبد المسيح لمّا استقبلهُ «فقال لهُ خالد: من اين أقصى أثرك يا شيخ ؟ فقال: من ظهر امّي. قال : فمن اين خرجت ؟ قال: من بطن امّي. قال : ويحك في ايّ شيء انت ؟ قال : في ثيابي. قال : ويحك وعلى اي شيء انت ؟ قال: على الارض. قال: أتعقلُ ؟ قال : نعم وأُقيِّد. قال: ويحك انّما اكلّمك بكلام الناس. قال: وانا انّما أُجيبك جواب الناس. قال: أَسِلْمٌ انت ام حَرْب ؟ قال: بل سِلم. قال: فما هذه الحصون ؟ قال: بنيناها للسفيه حتى يجيءَ الحليم. ثمَّ تذاكرا الصلح فاصطلحا على مائة الف يؤدّونها في كل سنة . . »

وهذا الخبر قد رواهُ كثيرون فزادوا وانقصوا. منهم الجاحظ في البيان والتبيين (١ : ٢٠٣) والمسعودي في مروج الذهب (١ : ٢٢٠) وصاحب الاغاني (١٥ : ١١ـ١٢) وذكر هناك انَّ عبد المسيح كان اعدَّ لنفسه سمَّ ساعةٍ ليشربهُ ان لم يقوَ على مصالحة خالد فتناولهُ خالد وسمَّى اسمَ الله واكلهُ « فتجلّتهُ غشيةٌ ثمَّ افاق يمسح العرق عن وجههِ فرجع ابن نفيلة (بُقَيلة) الى قومهِ فاخبرهم بذلك وقال: ما هؤلاء القوم الّا من الشياطين وما لكم بهم طاقة فصالحوهم على ما تريدون ففعلوا »

١) ويروى: بيتاً ٢) ويروى: رفيعَ الرأس احوى. ويروى: اعلى . . بانواع

وممَّا رُوي من خِدَم عبد المسيح للعرب ما ذكرهُ صاحب أنساب العرب (Ms. de Paris 2864, ff. 282) قال : انَّ عُمر كتب الى سعد بن ابي وقّاص بعد فتح المدائن انَّ العرب لا تصلحُ الَّا بارضٍ تصلُح بها الإبل . فأتاهُ ابن نفيلة (بُقيلة) العبادي فقال: ادلُّك على بقعةٍ ارتفعت عن البقَّة وسفلت عن الفلاة • فدلَّهُ على موضع الكوفة . قال ياقوت (٤ : ٣٢٣) وكان يقال لهُ سُورَسْتان . وقال ايضاً (٢ : ٦٧٧) انَّ عبد المسيح بقي في ديرهِ حتى مات وخرب الدير بعد مدَّة

أمَّا شعر عبد المسيح فتفرّق نروي ما وجدنا منهُ في مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة ومطبوعاتها . فمن قولهِ ما انشدهُ بعد مصالحة خالد (في الوافر) :

أَبَعْد المُنذِرَيْنِ أَرى سَواماً ... تُرَوَّحُ بالخَوَرْنقِ والسَّدِيرِ (١

تَحَاماهُ فوارسُ كلّ حيٍّ ... مخافةَ ضيغَمٍ عالي الزئيرِ (٢

وبعدَ فوارسِ النُّعْمان ارعى ... قَلُوصاً بين مُرَّةَ والحَفيرِ (٣

فصِرْنا بعد هُلْك ابي قُبَيسٍ ... كجُرْب المَعْز في اليوم المطيرِ (٤

تَقَسَّمُنا القبائلُ من معَدٍّ ... عَلانيةً كأيسارِ الجَزُورِ (٥

وكنَّا لا يُرَامُ لنا حَرِيمٌ ... فنحنُ كضَرَّةِ الضَّرْعِ الفَخورِ

نؤدّي الخَرْج بعد خراج كسرى ... وخَرجٍ من قُرَيْظةَ والنَّضيرِ (٦

كذاك الدهرُ دولتُهُ سجالٌ ... فيومٌ (٧ من مساءةٍ أو سرورِ

ووجدنا في بعض مخطوطاتِ باريس (Ms. 1842 ff. 73) قولهُ (مجزوء الكامل) :

المرء يأمُلُ أنْ يعيش م ... وطولُ عيشٍ قد يَضرُّهْ

١) ويروى : سوى ما يَروح على الخورنقِ ٢) ويروى : مخافة أغضفٍ
٣) ويروى : ارعى رياضاً بين مزّةَ . . وبين مكّة
٤) ويروى : بعد مُلك ابي قَبُوسٍ كمثل الشاء . . ٥) ويروى : كأنّا بعضُ اجزاء الجزور . . . وبعض اعضاء ٦) ويروى : يُؤدّى . . وتُؤدّي . ويروى : بعد خراج بُصرى . وخَرج بني قريظة . . وقريضة ٧) ويروى : بيومٍ

تَـفنى بشاشتـهُ ويـأ تي بعد حلوِ العيش مُرّهْ
وتسرّهُ الأيام حـتى م ـا يرى شيئـاً يَسُرّهْ

وجاء في التذكرة الحمدونيَّة (Ms de Berlin) : وفي معجم البلدان (٢: ٦٧٧) ذكر انَّ بعض مشايخ اهـل الحيرة خرج الى ظهرهـا يختطّ ديرًا فلمّا حفر موضع الاساس وامعن في الاحتفار اصاب كهيئة بيتٍ وظهرَ أزَجٌ معقود من حجارة فظنّوه كنزًا ففتحوهُ فاذا على سرير من رخام عليهِ رجل ميّت وعنـد رأسهِ لوح فيهِ « انا عبد المسيح بن بُقيلة » (وافر) :

حلبتُ الدهرَ اشطُرَهُ حيـاتي ونـلتُ من المُنى بُلْغَ المَزيدِ (١
وكافحتُ الامور وكافـحَتْني ولم أَخضَـل بمُعضلـةٍ كؤودِ (٢
وكـدتُ أنال بالشَّرَفْ الثُّرَيّا ولكن لا سبيـل الى الخلـودِ

وممّا روى القالي في اماليهِ لعبدالمسيح(١ : ٢٤٠) ما تمثَّل بهِ ابو جهم لمعاوية قال: نحنُ عندكَ يا اميرَ المؤمنين كما قال عبد المسيح لابن عبد كلال (وافر) :

نميلُ على جوانبـهِ كأنّا نَميلُ اذا نميلُ على ابينا
نقلّبُـهُ لِنَـخْبُرَ حالتَيْـهِ فنَخْبُرُ منهما كرَماً ولِينا

فامر لهُ بمائة الف

٦ الحُرَقة هند بنت النعمان

هي التي تُعرَف بهِنْد الصُّغرى ابنة النعمان بن المنذر ملكِ الحيرة. قال ابو الفرج في كتاب الاغاني (٢: ٣٢—٣٣) : « انَّ هندًا كانت من اجمل نساء اهلها وزمانها وأُمّها مارية الكنديّة ... رآها عديّ بن زيد الشاعر النصرانيّ العبـادي وزير النعمان يوم

١) ويروى : بلغ فوق المزيد ويروى: ولم اخضع لمضلةٍ ٢) ويروى في الشرق

خميس الفصح اذ دخلت البيعة مع حاشيتها وعمرُها حينئذٍ احدى عشرة سنة فهَويها. ثم اتى النعمان بعد الفصح بثلاثة ايام وذلك في يوم الاثنين فسألهُ ان يتغدَّى عندهُ هو واصحابهُ فلمَّا اخذ منهم الشراب خطبها الى النعمان فاجابهُ وزوَّجهُ وضمَّها اليهِ. قال خالد بن كلثوم: فكانت معهُ حتى قتلَهُ النعمان (١ فترهَّبت وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة. وقال ابن الكلبي: بل ترهَّبت بعد ثلث سنين ومنعتهُ نفسها واحتبست في الدير حتى ماتت وكانت وفاتها بعد الاسلام بزمن طويل في ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة وخطبها المغيرة فردَّتهُ». وروى ابن حبيب عن ابن الاعرابي انَّ النعمان لمَّا حبس عديًّا اكرههُ في امرها على طلاقها ولم يزل بهِ حتى طلَّقها وقيل انها ترهَّبت وبنت ديرها المنسوب اليها بعد ان حبس كسرى اباها ومات في حبسهِ. اقامت في ديرها مترهِّبة حتى ماتت فدُفنت فيهِ

ومَّا رواهُ ايضاً ابو الفرج (في الاغاني ٢: ٣٣) انَّ هندًا بنت النعمان كانت تَهوى زرقاء اليمامة وانَّها ترهَّبت لمَّا قُتلت الزرقاء. وقد اصاب اسماعيل الموصلي في كتاب الاوائل (خزانة الادب ٣: ١٨٢) منتقدًا لزعمهِ: «وفي قول ابي الفرج نظرٌ فانَّ هندًا بنت النعمان ماتت في ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة وزرقاء اليمامة من جديس في زمن ملوك الطوائف وبينهما زمان طويل فما اعلم من اين وقع لابي الفرج هذا»

ويلوح من اخبار العرب انَّ الحُرَقة ابنة النعمان بعد ان قتل ابوها عديًّا وقتل كسرى اباها طلبها كسرى والحَّ في طلبها فابت الاقتران بهِ. قال في العقد الفريد: «لمَّا قُتل النعمان استجارت الحُرقاء (الحُرَقة) بحَيَّيْ بكر وتغلب من كلّ طالب يطلبها والحَّ كسرى في طلبها فاجتمعت القبائل وجرت وقائع يطول ذكرها. ثم انَّ الحُرقاء لبست المسوح وتعفَّفت من الازواج»

وقد بنى رواة العرب على ذلك رواية تاريخيَّة في كتاب «حرب بني شيبان مع كسرى انوشروان في شأن الحُرقة ابنة النعمان» منهُ نسخة خطّيَّة في مكتبة لندن (Ms. 913) وفي مكتبتنا الشرقيَّة. وقد طُبع هذا الكتاب في بمباي سنة ١٣٠٥ﻫ. وقد ورد هناك ابياتٌ للحُرقة نظنُّها مصنوعة. فمن ذلك قولها لمَّا استجارت ببعض قبائل اياد وغسَّان فأبوا ان يجيروها خوفاً من كسرى فقالت (من الكامل):

١) اطلب ترجمة عدي بن زيد في شعراء النصرانيَّة في الجاهليَّة (ص ٤٢٩—٤٥٠)

لم يبقَ في كلّ القبائلِ مطمعٌ لي في الجوارِ فقتلُ نفسي أعودُ
ما كنتُ احسبُ والحوادثُ جمّةٌ انّي اموتُ ولم يَعُدني العُوَّدُ
حتّى رأيتُ على جرايةِ مَولِدي ملكاً يزولُ وشملُهُ يتبدّدُ
فدُهيتُ بالنّعمان اعظمَ دَهيةٍ ورجعتُ من بعد السَّمَيْدع أطرَدُ
وغَشيتُ كلَّ العُرْبِ حتّى لم أجد ذا مِرَّةٍ حسَن الحفيظةِ يُعهَدُ
ورجعتُ في أكدارِ نفسي لا أعي عطشاً وجوعاً حرُّهُ يتوقّدُ
يا نفسي موتي حسرةً واستيقني سيضمُّ جسمكِ بعد ذاكِ المُلحَدُ
خاب الرجا ذهب العزا قلّ الوفا لاالسهلُ سهلٌ ولا نجودي أنجُدُ
جمدتْ عيون الناسِ من عَبَراتها وقلوبهم صمٌّ صِلادٌ جَلمَدُ
لا يرحمونَ يتيمةً مكروبةً مقتولةَ الآباء نِضوًا تُطرَدُ
تبغي الجِوارَ فلا تُجار وقبل ذا كان المنادي للجوار يُسَوَّدُ
افٍّ لدهرٍ لا يدومُ سرورُهُ ولخصبِ عيشٍ غَضُّهُ يَتنكّدُ
ما الدهرُ الّا مثلُ ظلٍّ زائلٍ وبدورِ شمسٍ فارقَتْها الأسعُدُ
وصروفُ هذا الدهرِ اعظمُ مطلباً للأعظمينَ فهلكهمُ يتودّدُ
قُومي تهيَّئي للمماتِ فانّهُ أولى بذي حزنٍ اذا لا يُسعَدُ

وقالت لما استجارت ببني شيبان وادخلتها صفيّة بنت ثعلبة في حمى قومها (من الكامل) :

أحيُوا الجوارَ فقد اماتَتْهُ معاً كلُّ الاعاربِ يا بني شيبانِ
شيبانُ قومي هل قبيلٌ مثلهم عند الكفاحِ وكرّةِ الفرسانِ

لا والذوائبِ من فروع ربيعةٍ ما مثلهم في نائب الحدثانِ
قومٌ يُجيرون اللهيفَ من العدى عند الكفاح ومن صروف زمانِ
يا آل شيبان ظفرتم في الدُّنى بالفخر والمعروف والاحسانِ

ثمَّ ذكروا ما جرى بين جيوش العجم وبني شيبان من الوقائع التي جعلوا ختامها يوم ذي قار. وهو من اشهر ايّام العرب انتصروا فيهِ على جيوش فارس. وذو قار هذه وادٍ متاخم لسواد العراق يذكر العرب فيهِ يومين والمُراد هنا هو يوم ذي قار الثاني الذي وقع نحو السنة ٦١١ للميلاد قبل الهجرة باحدى عشرة سنة. وانّما اختلفوا في سببهِ. وقد جعلهُ هنا صاحب حرب بني شيبان وكسرى المدافعةَ عن الحرقة بنت النعمان والله اعلم. وممَّا رووا لها قولها تحرّض بني شيبان على مقاتلة العجم فقالت تخاطب زعيمهم عَمْر بن ثعلبة (من الكامل):

حافظ على الحسبِ النفيس الارفعِ بمدَجَّجين مع الرماح الشُّرَّعِ
وصوارمٍ هنديَّةٍ مصقولةٍ بسواعدٍ مفتولةٍ لم تُمْنَعِ
وسلاهبٍ من خيلكم معروفةٍ بالسَّبْق عاديةٍ بكلّ سَمَيْدعِ
واليومُ يوم الفضل منك ومنهمُ فاصبرْ لكلّ شديدةٍ لم تُدفَعِ
يا عمرو يا عَمْرَ الكفاحِ فتى الوغى يا ليثَ غابٍ في اجتماع المجمعِ
احذر على فقدان صبرك واظفرَنْ فتُضيعَ مجداً كان غير مضيَّعِ
أَظْهِر وفاءً يا فتًى وعزيمةً كيما يُذَاعُ بفخركم في تُبَّعِ

وقالت الُحرقة ايضاً لعمرٍو (من الطويل):

فديتك من عمروٍ يروحُ ويَغتدي ببأسٍ اذا ناواهُ قومٌ بهائلِ
رغمنا بعمروٍ أَنف كسرى وجندهِ وما كان مرغوماً بكل القبائلِ

وهذا قُصارى الامر فاحمل محسِّرًا ... لكُمَيْك ما بين الظُّبى والذوابلِ

وقالت بعد انتصار بني شيبان تمدح صفيّة اخت عمرو بن ثعلبة وقومها (من الكامل) :

المجدُ والشرفُ الجسيمُ الارفعُ ... لصفيَّةٍ في قومها يُتوقّعُ

ذات الحجابِ لغير يوم كريهةٍ ... ولدى الهياج يُحَلُّ عنها البُرْقُعُ

لا أنسَ ليلة اذ نزلتُ بسُوحها ... والقلبُ يخفقُ والنواظرُ تدمعُ

والنفس في غمراتِ حربٍ فادحٍ ... وَلَهَا الفؤادِ كئيبةٌ اتفجَّعُ

مطرودةٌ من بعد قتل ابوّتي ... ما ان أُجارُ ولم يسَعْني المضجعُ

ويئستُ من جارٍ يُجيرُ تكرُّماً ... فأُجرْتُ واندملَتْ هناك الأضلعُ

فألحَّ كسرى بالجنود عليهمُ ... وطميحُ يُردفُ بالسيوفِ ويدفعُ

كم زادهم من غارةٍ ملمومةٍ ... بالقبِّ تقطُبُ والاسنَّةُ تلمعُ

وهمُ عليهِ واردون بعزمهم ... والنصرُ تحت لوائهم يترعرعُ

حتّى غدا العجميُّ في اجنادهِ ... والقومُ جرحى والمذاكي ضُلَّعُ

قد أهلكَ الدهرُ الغواةَ بفعلهم ... والحقّ بانَ ونورهُ لا يُقلعُ

وذكر الراوي بعد ذلك مصالحة كسرى للعرب وزواج الحرقة مع ابن عمها الملك الريّان بن المنذر الذي ادرك الاسلام ومات في سنة الهجرة في يوم أُحد . على انّ هذه الرواية تخالف ما سبق من امتناع الحُرقة هند بنت النعمان عن الزواج بعد موت ابيها وانحباسها في الدير الذي شيَّدتهُ في الحيرة

ثمَّ انَّ الكتبة لم يقتصروا على ما ذكروهُ من امر هند بنت النعمان وانَّما زعموا انَّ الحجّاج بن يوسف الثقفي عامل الامويّين على الكوفة خطبها لحسنها وبذل لها

مالًا كثيرًا فتزوّجها وانَّما تركتهُ وهجته فطلّقها فاعطت مَن بشّرها بخلاصها منهُ مائتي الف درهم . هكذا ورد في الكتاب الرابع من الف ليلة وليلة (ص ٦٩) . وجاء هناك انّ امير المؤمنين عبد الملك بن مروان ارسل اليها يخطبها فاشترطت عليهِ ان يأمر الحجّاج فيقود مَحملها الى دمشق لتعبث بهِ . ولمَّا اخذ بزمام بعيرها كشفت ستارة المحمل وضحكت منهُ . فانشد هذا البيت :

فان تضحكي يا هندُ يا رُبَّ ليلةٍ تركتُكِ فيها تسهرينَ نواحا

فاجابتهُ بهذين البيتين (من البسيط) :

وما نُبالي اذا ارواحنا سَلُمت بما فقدناهُ من مالٍ ومن نَشَبِ
فالمالُ مكتسبٌ والعزُّ مرتجعٌ اذا اشتفى المرءُ من داءٍ ومن عطبِ

وروى هناك انَّها رمت من يدها بدينار وزعمت انهُ درهم طلبت من الحجّاج ان يناولهُ ايَّاها فقال : هذا دينار ليس درهماً . فقالت : الحمد لله الذي عوّضنا بالدرهم الساقط دينارًا فناولنا ايَّاهُ . فخجل من ذلك ثمَّ اوصلها الى قصر امير المؤمنين عبد الملك ابن مروان ودخلت عليهِ وكانت محظيَّةً عندهُ

ولا غرو ان هذه الرواية ايضاً مصنوعة لانَّ موتها وقع قبل عهد الحجّاج وملك عبد الملك بن مروان كما سترى . ورد في معجم ما استعجم للبكري (ص٣٦٢) «انَّ هند بنت النعمان التي تُعرَف بحُرَقة (ويُقرأ بحُرَيقة) هي التي دخلت على خالد ابن الوليد لما افتتح الحيرة فقال لها : أَسْلِمي حتى ازوّجك رجلًا شريفاً من المسلمين . قالت : امَّا الدين فلا رغبة لي عن ديني ولا ابتغي بهِ بدَلًا وامَّا التزويج فلو كانت فيَّ بقيَّة لمَا رغبتُ فيهِ فكيف وانا عجوز هامَّةُ اليوم او غدٍ»

وكان فتحُ خالد للحيرة السنة الثانية عشرة للهجرة فوجد هندًا عجوزًا فكيف امكن عبد الملك بعد ذلك بخمسين سنة ان يخطبها ؟ ومنهُ ترى ما في اخبار العرب من الاضطراب . ثم اردف البكري : « وقال خالد لهند : سَليني حاجتكِ . فقالت : هؤلاء النصارى الذين في ايديكم تحفظونهم . فقال : هذا فرضٌ علينا وقد وصّانا بهِ نبيُّنا . قالت : ما لي حاجة غير هذه انا ساكنة في دير بنيتُهُ ملاصق هذه الأَعظُم البالية من اهلي حتى أَلحَقَ بهم . فامر لها بمعونة ومال وكسوة . فقالت : «ما لي الى شيءٍ

من هذا حاجة. لي عبدان يزرعان مزرعةً لي القوتُ منها ما يُمسك رمقي (رَمَقي) ».
وزاد ياقوت على هذا في معجم البلدان (٢: ٧٠٨) انَّ خالدًا « قال لها : اخبريني بشيءٍ ادركتِ. قالت : لقد طلعَت الشمس بين الخورنق والسَّدير الَّا على ما هو تحت حكمنا فما امسى المساء حتى صِرنا خَوَلًا لغيرنا ثمَّ انشأت تقول (من الطويل) :

بينا نسوسُ النـاسَ والامرُ أَمرُنا اذا نحنُ فيهم سُوقةٌ نتَنَصَّفُ (١

فتباًّ لـدنيا لا يـدومُ نعيمُهـا تقلَّبُ تاراتٍ بنـا وتَصَرَّفُ (٢

ثم قالت : « اسمع مني دعاءً كنَّا ندعو بهِ لأَملاكنا : شكرتْكَ يدٌ افتقرَتْ بعد غنًى ولا ملكَتْك يدٌ استغنت بعد فقرٍ. واصاب الله بمعروفك مواضعهُ ولا ازال عن كريمٍ نعمةً الَّا جعلك سبباً لردّها اليهِ ولا جعل لك الى لئيمٍ حاجةً وعقد لك المِنَن في اعناق الكرام » . (قال) فتركها وخرج فجاءَها النصارى وقالوا : ما صنع بكِ الامير ؟ قالت :

صـان لي ذمَّتي واكرَمَ وجهي انَّمـا يُـكرِمُ الكريمَ الكريمُ

وروى ابوالفرج في الاغاني(١٤ : ١٤١)والمبرّد في الكامل(éd. Wright, ٢٦٦) قالا : ركب المُغيرة بن شُعبة وهو والي الكوفة فصار الى دير هند بنت النعمان وهي عمياء مترهبة بنت تسعين سنة فاستأذن عليها فقيل لهـا : امير هذه المَدَرَة بالباب . فقالت : قولوا لهُ : أَمِن ولَدِ جبَلة بن الأَيهم انت ؟ قال : لا . قالت : افمن ولد المنذر بن ماء السماء انت ؟ قال : لا . قالت : فمن انت ؟ قال : انا المغيرة بن شعبة . قالت : انت عامل الكوفة ؟ قال : نعم . قالت : فما حاجتُك ؟ قال : جئتكِ خاطباً . قالت : لو جئتني لجمالٍ او لمالٍ لأَجبناك : « مالي رغبة لجمال ولا لكثرة مال » ولكنك اردتَ ان تتشرَّف في محافل العرب فتقول : تزوَّجتُ بنت النعمان بن المنذر والَّا فايُّ خيرٍ في اجتماع أعورَ وعمياء . هذا والصليب ما لا يكون ابدًا أَوما يكفيك فخرًا ان تكون في مُلكِ النعمان وبلادهِ فتدبّرها كما تريد . فقال : وكيف كان امركم . قالت : « سأختصر لك

١) ويروى : فبينا نسوق . . . وتنتصَّف اي نُتَّخذ كخدم . الناصف الخادم
٢) ويروى : فافٍّ لدنيا

الجواب أمسينا مساء وليس في الارض عربيٌّ الّا وهو يرغب الينا ويرهبنا ثمَّ اصبحنا وليس في الارض عربيٌّ الّا ونحن نرغب اليهِ ونرهبهُ » . قالت هذا وبكت فخرج المغيرة وهو يقول :

ادركتُ ما منَّيتُ نفسي خاليًا ... للهِ درُّكِ يا ابنةَ النعمانِ

فلقد رددتِ على المغيرة ذهنَهُ ... انَّ الملوك ذكيَّةُ الاذهانِ

اني لِحَلْفِكِ بالصليب مصدِّقٌ ... والصُّلْبُ اصدقُ حلفةِ الرهبانِ

وكانت بعد ذلك تدخل عليهِ فيكرمها ويَبرُّها

واخبر الجاحظ في كتاب المحاسن والمساوئ (ص ١٧٥) وابن العربيّ في محاضرة الابرار (٢ : ٢٢٥) وغيرهما قالوا : زعموا انَّ زياد بن ابيهِ مرَّ بالحيرة فنظر الى دير هناك فقال لخادمهِ : لمن هذا ؟ قال : دير حُرَقة بنت النعمان بن المنذر . فقال : ميلوا بنا اليهِ لنسمع كلامها . فجاءت الى وراء الباب فكلَّمها الخادم فقال لها : كلّمي الامير . قالت : أأوجزُ ام أُطيل ؟ قال : بل أَوْجزي . قالت : كنَّا اهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الارض احد اعزُّ منَّا فما غابت تلك الشمس حتى رَحِمَنا عدوُّنا . (قال) فامر لها بأوساقٍ من شعيرٍ فقالت : أَطعمتْكَ يدٌ شَبْعى جاعت ولا أَطعمتكَ يدٌ جَوْعى شبعتْ . فسُرَّ زياد بكلامها فقال لشاعر معهُ : قيِّد هذا الكلام ليُدْرَس فقال :

سَلِ الخيرَ اهلَ الخير قدمًا ولا تَسَلْ ... فتًى ذاق طعمَ الخير منذُ قريبِ

ويقال انَّ فروة بن اياس بن قبيصة انتهى الى دير حُرقة بنت النعمان فألفاها وهي تبكي فقال لها : ما يُبكيكِ ؟ قالت : ما من دارٍ امتلأَت سرورًا الّا امتلأَت بعد ذلك ثبورًا ثم قالت : فبينا نسوس . . . (البيتان) .

واخبر الطرطوشي في سراج الملوك وعبد القادر البغدادي في خزانة الادب (٣ : ١٨٢) والخفاجيّ في شرحهِ على درَّة الغوَّاص (ص ٢٥٢) وابن العربي في المسامرات (١ : ١٤١) قالوا : لمَّا قدم سعد بن ابي وقَّاص القادسيَّة اميرًا قيل لهُ : هاهنا عجوز من بنات الملوك يقال لها الحُرقة بنت النعمان وكانت من اجلّ عقائل العرب وكانت اذا خرجت من بيتها نُشرَتْ عليها الف قطيفةِ خزّ وديباج ومعها الفُ وصيفةٍ . فارسل اليها سعد فجاءت كالشنّ البالي في جوارٍ لها زيُّهن كزيّها فلمَّا وقفنَ بين يديهِ قال :

ايَّتكنَّ حُرقة ؟ قالت هي : «انا حُرقة فما تكرارُكَ الاستفهام عني ؟ انَّ الدنيا دار قُلعة وزوالٍ وانَّها تنتقل باهلها انتقالًا ولا تدوم على حال . ياسعد كنَّا ملوكَ هذا المِصر قبلك يُجبَى الينا خراجُهُ ويطيعنا اهلُهُ . فلمَّا أَدبر الامر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فصدَّعَ عصانا وشتَّت ملأنا والدهرُ ذو نوائب وصروف . فلو رأَيتنا في ايَّامنا لَأرعدَتْ فرائصَكَ فرَقاً منَّا . فقال لها سعد : ما انعمُ ما تنعَّمتم بهِ ؟ قالت : سَعَة الدنيا علينا وكثرة الاصوات اذا دعونا . ثمَّ انشأَت تقول من شعر لها : فبينا نسوسُ . . . (البيتان) . فقال سعد : قاتل الله عديَّ بن زيد كانَّهُ ينظر لهذه حيث يقول :

انَّ للدهر صولةً فاحذرَنها لا تبيتنَّ قد امنتَ الدهورا

كم يبيتُ الفتى معافًى فيَرْدى ولقد بات آمنًا مسرورا

ثمَّ قالت : «يا سعد انهُ ليس من قوم في يُسْرة الَّا والدهر يُعقبهم حسرةً حتى يأتي امرُ الله على الفريقين» . فاكرمها سعد واحسن جائزتها

قال ابن العربيّ في محاضرة الابرار (١ : ١٤٢) . فبينما هي تخاطب سعدًا اذ دخل عمرو بن معدي كرب فقال : انتِ حُرَقة التي كانت تُفرَش الارض من قصركِ الى بيعتك بالديباج المبطَّن الموشَّى ؟ قالت : نعم . قال : ما الذي دهمَكِ واذهبَ محمود شِيَمكِ وغوَّرَ ينابيع نِعَمكِ وقطع سَطَوات نقمكِ . قالت : يا عمرو انَّ للدهر عثرات تُلحق السيّدَ من الملوك بالعبد المملوك وتخفض ذا الرفعة وتُذلّ ذا النعمة وانَّ هذا امرٌ كنَّا ننتظرهُ فلمَّا حلّ بنا لم ننكرهُ

وروى ابن العربيّ ايضاً (٢ : ٣٥٢) عن اسحاق بن طلحة بن عبيدالله قال : دخلتُ على خرقة (حُرَقة) بنت النعمان وقد ترهَّبت في دير لها بالحيرة وهي في ثلاثين جارية لم يُرَ مثل حسنهنَّ قطّ فقلت : يا خرقة (حرقة) كيف رأيتِ في الدنيا غِيرَات الملك ؟ قالت : «ما نحنُ فيهِ اليوم خيرٌ ممَّا كنَّا امس . انَّا نجد في الكتب انهُ ليس من اهل بيت يعيشون في حَبْرة الَّا سيُعقَبون بعدها عَبْرة . وانَّ الدهر لم يظهر لقوم بيومٍ يحبُّونهُ الَّا بطَنَ لهم بيوم يكرهونهُ . وانَّ على ابواب السلطان كاخوانٍ من الفتن من اصاب من دنياهم شيئاً اصابوا من دينهِ مثلَيهِ وقد قلتُ في ذلك شيئاً» . فقلتُ : وما هو ؟ فقالت : بينا نسوسُ . . . (البيتان)

ومن شعرهـا ما رواهُ صاحب الاغاني (٢٠ : ١٣٥) تحرّضُ قومها يوم ذي قار (من الوافر) :

ألا أبلغ بني بكرٍ رسولًا فقــد جَدَّ النفيرُ بعَنْقفـيرِ
فليتَ الجيشَ كلَّهمُ فداكم ونفسي والسريرَ وذا السريرِ
كأني حين جدَّ بــهِ اليكم معلَّقةُ الـذوائب بالعُبُورِ
فلو انّي أطقتُ لذاك دفعاً اذن لدفعتُهُ بدمي وزيري

وقـــد وقفنا للحُرقة في نسخة مخطوطة من الحماسة في مكتبتنا الشرقيَّة (ص ١٣٥) على رثاء قالتهُ في عدّاء وهو زوجُها الاوَّل عديّ بن زيد (من الطويل) :

أعدَّاءُ مَنْ لليَعْمَلاتِ على الوَجى واضيــافِ ليــلٍ بيَّتوا لنزولِ
أعدَّاء مــا للعيش بعدك لــذَّةٌ ولا لــلخليل بهجــةٌ بخليــلِ
اعــدَّاء ما وجدي عليــك بهيّنٍ ولا الصبرُ ان أُعطيتُهُ بجميــلِ
كــأنّي والعــدَّاء لم نَسْرِ ليلــةً ولم نُزْجِ أنضــاءً لهنَّ ذميــلُ
ولم نَلْوِ رَحْلَيْنــا ببيــداءَ بَلْقعٍ ولم نَرْمِ جَوْز الليلِ حيث يميلُ

هذا ما حصلنا عليهِ من آثار تلك المرأة التي تمتَّعت دهرًا بنعيم الدنيا ثمَّ زهدت بلاذّها الباطلة وانقطعت في ديرها الى خدمة باريها الى آخر انفاسها فماتت كما قال في الاغاني في ولاية المغيرة بن شعبة اعني نحو ٢٠ للهجرة (٦٤٢ م) ودُفنت في ديرها

٧ الزِّبْرِقان بن بَدْر

هو الحُصَين بن بَدْر بن امرئ القيس بن خلف بن بَهْدلة بن عوف بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم . والزِّبرقان لقبٌ ومعناهُ القَمرُ سُمّيَ بهِ لجمالهِ ودُعي

لذلك بقمر نجد . وقال السُّهَيلي «بل سُمّي بالزبرقان لانهُ كان يُرفَع لـهُ بيت من عمائم وثياب وينضح بالزعفران والطيب وكانت بنو عامر تحجّهُ» . وقال قوم : انّما سُمّي بالزبرقان لخفّة لحيتهِ . وقال غيرهم لانهُ كان يصبغ عمـامتهُ بالزعفران وكانت سادة العرب تفعل ذلك (الاشتقاق لابن دريد ١٥٥—١٥٦) .وكان الزبرقان يُكنّى ابا العبّاس وكان لهُ بنون العبّاس وشدرة وعيّاش ربّما كُني بهم وكانت ابنتهُ بكرة ابنة هُنَيدة بنت صعصعة بن ناجية تزوَّجها الحكم بن عثمان بن ابي العـاص وهي امّ يزيد بن الحكم قيل انّها اوّل عربيّة ركبت البحر فأُخرج بها الى الحكَم وهو يتوّج (الاغاني ١١ : ١٠٠) . وكانت بعض قبائل العرب تتفاخر بالزبرقان وتنسبهُ الى قومها . فقيل لـهُ : انك من بني عامر ذي المَجاسد وكان سيّدهم وصـاحب مِرْباعهم فقال (من الطويل) :

إنْ أكُ من كَعْب بن سَعْـدٍ فانّني رَضِيتُ بهم من حيّ صِدْقٍ ووالدِ
وانْ يكُ من كعبِ بن يَشكُرَ مَنصِبي فـانَّ ابانا عـامرٌ ذو المَجاسـدِ

وكان الزبرقان من نصـارى تميم والدليل عليهِ قولـهُ لمحمّد يفتخر بقومهِ تميم وبتشييدهم للبِيَع (الطبري ١ : ١٧١٢ سيرة ابن هشام ٩٣٥) :

نحنُ الكرامُ فلا حيٌّ يعادلنـا منّا الملوكُ وفينـا تُنْصَبُ البِيَعُ

وذلك انهُ وفد على رسول الاسلام السنة التاسعة للهجرة مع بني تميم وهم على ما روى صاحب الاغاني (٤ : ٨—٩) سبعون او ثمانون رجلًا فيهم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعُطارد بن حاجب وقيس بن عاصم وعمرو بن الاهتم فقدموا المدينة ودخلوا المسجد فوقفوا عند الحُجَرات فنادوا بصوتٍ عالٍ جافٍ : اخرُج الينا يا محمّد فقد جئنا لنفاخرك وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا . ثمَّ ذكر هناك ما دار بينهم من الخطب ثمَّ قالوا : يا محمّد ائذَنْ لشاعرنا . فقال : نعم . فقام الزبرقان وقال :

نحن الكرامُ فلا حيٌّ يُعادلنـا منا الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ (١

١) وروى في الاغاني :

نحنُ الملوكُ فلا حيٌّ يقـاربنا منّا الملوك وفينـا يؤخذ الرُّبَعُ .

ويروى : فينا تُقسم الرُّبَعُ

تلك المكارمُ حُزناها مُقارعةً … اذا الكرامُ على أمثالها اقترَعوا

كم قد نَشَدْنا من الأحياء كلِّهم … عند النِّهاب وفضلُ العزّ يُتَّبعُ (١

وننحرُ الكُومَ عَبْطاً في أرُومتنا … للنازلين اذا ما استطعموا شبعوا (٢

ونحن نُطْعم عند القَحْط مَطْعمنا … من العَبيط اذا لم يَظْهر القَزَعُ (٣

ونَنْصُرُ الناسَ تأتينا سَرَاتُهُمُ … من كلّ أوْبٍ فنمضي ثمّ تتَّبعُ (٤

فلا ترانا الى حيٍّ نُفاخرهم … الّا استقادوا وكاد الرأس يَقْتطعُ (٥

فمن يفاخرُنا في ذاك نعرفُهُ … فيرجعُ القومُ والأخبارُ تُستَمَعُ (٦

اذا أَبَيْنا فلا يأبى لنا احدٌ … انّا كذلك عند الفخر نرتفعُ (٧

وروى لهُ ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٩٣٧) قولهُ يخاطب محمّدًا ورواهُ في الاغاني لعطارد بن حاجب (طويل) :

اتيناك كَيْما يعلَم الناسُ فَضْلَنا … اذا اختلفوا عند احتضارِ المواسمِ (٨

بأنّا فروعُ الناس في كلّ موطنٍ … وأنْ ليس في ارض الحجازِ كدارمِ

ثم رووا هناك ما ردّ بهِ عليهِ حسّان بن ثابت . وزعموا انَّ الوفد اسلموا ومنهم الزبرقان وانَّ نبيّ الاسلام استعملهُ على صدقة قومهِ بني تميم . قال ابن سعد في طبقاتهِ (٧ : ٢٤) : « فقُبض رسول الله صلعم وهو عليها وارتدَّت العرب ومنعوا الصدقة وثبت الزبرقان بن بدر على الاسلام واخذ الصدقة من قومهِ فأدّاها الى ابي بكر

---

١) ويروى : وكم قسَرْنا ٢) ويروى : عَبْطا في منازلنا . . اذا ما أُنزلوا
٣) ويروى : عند المحْل ما آكلوا من الشواء اذا لم يؤنس القَزَعُ . ويروى : القَرَع والفَزَعُ ٤) ويروى : بما ترى الناس . . من كلّ ارض هوِيًّا ثمّ نصطنعُ . ويروى : ثمَّ ترى . . . هوانًا متَّبعُ ٥) ويروى : فكانوا الرأس ٦) ويروى : فمن يقادرنا في ذاك يعرفنا فيرجع القولُ ٧) ويروى : انَّا اينا ولا . . . عند الفجر
٨) ويروى . اذا اجتمعوا وقت

الصدّيق وكان ينزل ارض بني تميم ببادية البصرة وكان ينزل البصرة كثيراً»

وقال ابن سلّام الجُمَحي في كتاب طبقات الشعراء (ص ٢٥) : «وكان الزبرقان شاعراً مفلقاً» ثم ذكر تحامُل بني قريع عليهِ وحَمْلهم الحُطَيْئةَ على هجائهِ وهجاءُ البغيض والمخبَّل السعدي . قال ابن سلّام: «وكان الزبرقان يعاتبهم ولم يكن يهجوهم وكان حليماً » وكان سبق فأضاف الحطيئة وجعلهُ في جوارهِ في سنة مجدبة واوصى امرأتهُ باكرامهِ فصدر منها يوماً جفوةٌ فسعى بنو بغيض فجذبوهُ حتى هجا الزبرقان فاستعدى عليهِ عمرَ بن الخطّاب فحبسهُ عُمر ثمَّ استندمهُ واطلق سبيلهُ (الاغاني ٢ : ٥٢—٥٥)

ومما يدلُّ على تردّد الزبرقان في اسلامهِ ما ذكرهُ الطبري (٣ : ١٩١٩) انهُ هو وعطارد بن حاجب ونظراءهم بعد وفاة نبيّ المسلمين ارتدُّوا وتبعوا مُسيلمة بن حبيب وسجاع التغلبيَّة ثم عادوا بعد قتل مسيلمة الى اسلامهم . وذكر في الاغاني (١٢ : ١٥٢) غدر الزبرقان بقيس بن عاصم وكان كلاهما متولّياً صدقات قومهِ فلمّا توفي محمّد « دسَّ الزبرقان الى قيس مَنْ زيَّن لهُ المَنع لما في يدهِ وخدعهُ بذلك وقال لهُ : «انَّ النبيّ صلعم قد توفي فهلمَّ نجمع هذه الصدقة ونجعلها في قومنا فان استقام الامر لابي بكر وادّت العرب اليهِ الزكاة جمعنا لهُ الثانية » ففرّق قيس الابل في قومهِ وانطلق الزبرقان الى ابي بكر بسبعمائة بعير فادّاها اليهِ وقال في ذلك (الطبري ٣ : ١٩٢٤ . من الطويل) :

وفيتُ بأذوادِ الرسولِ وقد أبت ... سُعاةٌ فلم يردُدْ بعيراً مجيرُها (١

معاً ومَنَعْناها من النـاس كلّهم ... ترامي الاعادي عندنا ما يَضيرُها

فأدَّيتُها كي لا أخونَ بـذمَّتي ... مَحانيقَ لم تُدرَس لركبٍ ظُهورُها (٢

اردتُ بها التقوى ومجدَ حديثهـا ... اذا عُصبةٌ سامى قَبيلي فخورُها (٣

وانّي لمن حيٍّ اذا عُـدَّ سَعيُهـم ... يرى الفخرَ منها حيُّها وقبورُها (٤

١) ويروى : بأذوادِ النبيّ محمّدٍ وقد اتت سعادٌ

٢) ويروى : مجانيق لم يُدرس . وإبل مَحانيق سِمان ٣) ويروى : اذا عصمةٌ سامى قبلٌ

٤) ويروى : شعبهم ترى

اصاغِرُهم لم يَضرعوا و كبارُهم رِزانٌ مَراسيها عِفافٌ صُدورُها(١

ومن رَهط كنَّادٍ توفَّيتُ ذمَّتي ولم يَثْنِ سيفي ذَبْحُها وهَريرُها(٢

وقُبَّةِ مَلْكٍ قد دخلتُ وفارسٍ طعنتُ اذا ما الخيلُ شدَّ مُغيرها(٣

ففرَّجتُ أُولاها بنَجْلاءَ ثَرَّةٍ بحيثُ الذي يَرْجوا الحياةَ يَضيرُها(٤

ومَشهدِ صِدْقٍ قدشهدتُ فلما اكنْ بهِ خاملًا واليومَ يُثني مَصيرُها

ارى رهبةَ الأعداء مني جَراءَةً ويبكي اذا ما النفسُ يوحي ضميرُها

قال ابو الفرج فلمَّا عرف قيس ما كادهُ بهِ الزبرقان قال : لو عاهد الزبرقان امَّهُ لغَدَر بها . فنشب الشرّ لذلك بين الاحياء

وجاء في التبريزي في شرح الحماسة (ص ٦٦٦) وفي الاغاني (١٢ : ٤٤) وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٢٥٠) وكان للزبرقان اخت تُدعى خُلَيْدة زوَّجها رجلًا يُدعى هزَّالًا كان قتل واحدًا من بني عبد القيس في جوار الزبرقان فعيَّرهُ بذلك المخبَّل وهجا خُلَيْدة . ثمَّ نزل يوماً عندها ضيفاً وهو لم يعرفها فقرَتْهُ واحسنت اليهِ وزوَّدتهُ لمَّا ارتحل فسألها عن اسمها فعرفها وصرخ: وا سوءَتاه ثمَّ قال :

ضَلِلْتُ لعمري في خُلَيْدةَ انَّني سأُعتِبُ قومي بعدَها وأتوبُ

فأُشهِدُ والمستَغفَرُ اللهُ انَّني كذبتُ عليها والهجاءُ كَذُوبُ

وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٢١٩) انَّ عمرو بن معدي كرب الزُّبَيْديّ احد فرسان العرب كان ابن خالة الزبرقان التميميّ . وقال عن الأضبط بن قُرَيْع الشاعر السَّعْدي (ص ٢٢٥) انهُ من رَهط الزبرقان . وبين الفرزدق والزبرقان قرابة ايضاً وكانت هُنَيْدة عمَّة الفرزدق امرأة الزبرقان فقال الفرزدق يردُّ على جرير (نقائض جرير والفرزدق ص ٧١٣) :

١) ويروى : لم يصرعوا و كبارها رزازٌ ٢) ويروى : من رهط كنَّازٍ . . نفخُها وهديرها ٣) ويروى : وقُبَّة ملكٍ . . . مغيرها ٤) ويروى : نصيرها وبصيرها

وإنْ تَنبحُ آلَ الزبرقانِ فانما هجوتَ الطوالَ الشُّمَّ من هَضْب يَذْبُلِ
وقد ينبحُ الكلبُ النجومَ ودونها فراسخُ تُنضي العِينَ للمتأمّلِ

وقال دثار بن شيبان النمري يمدح بني بهدلة وخصَّ منهم الزبرقان :

مَنْ يَكُ سائلًا عني فانّي انا النَّمَريُّ جارُ الزبرقانِ
طريدُ عشيرةٍ وطريدُ حربٍ بما اجترحتْ يدي وجنى لساني
أبيتُ الليلَ ارقبُ كلَّ نجمٍ شآمٍ قرَّ في بلدٍ يمانِ
كأنّي اذ حَلَلْتُ بهِ طريدًا حللتُ على المُمنَّعِ من أبانِ
الى بيت الاكارمِ من معَدٍّ محلًّا بيِّنًا لمن ابتغاني
فخلُّوا عنهمُ يا آلَ لأيٍ فليس لكم بسعيهم يدانِ
غداةَ سعى لهم عمرو بن عوفٍ وذو البُرْدَيْن نِعْمَ الساعيانِ
سيدركنا بنو القمر بن بدرٍ سراجُ الليل للشمس الحصانِ

وذو البُرْدَيْن المذكور هنا هو عامر بن بهْدلة اخذ بُرْدَيْن عرضَهما المنذر بن ماء السماء على اعزّ العرب قبيلةً واكثرهم عددًا فاتّزر بهم الأُحَيْمر وقال : « أيّها الملك انَّ العزَّ والعدد من العرب في معدٍّ ثمَّ في نزار ثمَّ في مُضَر ثمَّ في خِنْدف ثمَّ في تميم ثمَّ في سعد ثمَّ في كعب ثمَّ في عوف ثمَّ في بَهْدلة » فلم يَقُمْ اليهِ احد من الناس فقال الزبرقان (طويل) :

وبُرْدا ابنِ ماءِ المُزْنِ عمّي اكتساهما بعزِّ مَعَدٍّ حين عُدَّت محاصِلُهْ
رآهُ كرامُ الناس أولاهمُ بهِ ولم تجدوا في عزّهم مَن يُعادِلُهْ

وللزبرقان شعرٌ متفرّقٌ في كتب الادب فمن ذلك ما ورد لهُ في حماسة البحتري (ع ١٣٠٤) قال يعاتب ابن عمهِ علقمة بن هوذة (من مجزوء الكامل) :

وليَ ابنُ عمٍّ لا يزا لُ يَعيبني ويُعينُ عائبْ (١
وأُعينُهُ في النائبا تِ ولا يُعينُ على النوائبْ

---

١) روى في ديوان مختارات شعراء العرب : «يعيبني» وهو تصحيف وفي الاغاني (٢: ٥٣) ويعيب عائب

تَسري عقاربُهُ اليَّ م ولا تَنَاوَلُهُ عقارِبْ (١

لاهِ ابنَ عمِّك ما يخا فُ الجازياتِ من العواقب (٢

ومما روى لهُ في الوفاء (ع ٧٢٣) قال (من الوافر) :

وفيتُ بذِمَّةِ القَيْسيّ لمَّا تواكَلَها الصحابَةُ والجِوارُ

كما أوْفيتُ بالعُكليِّ ضرباً بفَصْل السيف اذ عَلَنَ السِرارُ

وروى لهُ في الامتناع عن مصالحة آل ظَلّام لأسرهم احد قومهِ (ع ١٠٨) قال (من البسيط) :

أبَعْد بِشْرٍ أسيرًا في بيوتِهِم ترجو المَوَادَةَ عندي آلُ ظَلّامِ

فلن أُصالِحَهم ما دمتُ ذا فرسٍ واشتدَّ قبضًا على السِّيلان إبهامي (٣

تعدو الذئابُ على من لا كلابَ لهُ وتتَّقي مَرْبِضَ المستنفِرِ الحامي (٤

وروى لهُ بيتاً مفردًا في الانفة من الظلم (ع ٧٤) قال (من الكامل) :

أغشى المهالِكَ بالرجالِ ولا أُعطي المَقادة سائمي الحَقْرَا

وروى لهُ ابو بكر ابن الانباري في الاضداد في انّ «المولى» تأتي بمعنى ابن العم (ص ٣٠) قال (من الوافر) :

ومن المَوالي مَوْلَيان فمنهما مُعْطي الجزيلِ وباذِلُ النَّصْرِ

---

١) وروى فيهِ : ولا تبيّهُ عقارب . وروى في اللسان وفي التاج (مادّة عقب) : ولا تدبُّ لهُ وهما ينسبان البيت لذي الاصبع العدوانيّ ٢) ويروى : ما تخاف . ولا تخاف المُجْزِيات . وفي الاغاني : لا يخاف المخزيات

٣) روى في التاج واللسان (في مادّة سيل) : ولن اصالحكم . وروى في محاضرة الادباء (٢ : ١٠٢) : واشتدَّ قبضاً على الاسياف إبهامي ٤) وهذا البيت قد رواهُ البعض للنابغة لعلَّ الزبرقان اقتبسهُ منهُ

ومن الموالي ضبٌّ جَنْدلةٍ ... لِحزُ المروءةِ طاهرُ الغمرِ

وممّا ذكرهُ لهُ الراغب الاصبهاني في محاضراته (١ : ٣٧٢) قولهُ في من يمنع معروفهُ ويعضّل ظلمهُ (من الطويل) :

طوى كلَّ معروفٍ وأحضَرَ دونَهُ ... عقاربَ أخشى لسعَها وأفاعيا

وروى لهُ ياقوت في معجم البلدان في باب أَطَد (١ : ٣٠٧) وعِتكان (٣ : ٦١١) حيث حملَ صدقاتِ قومهِ الى ابي بكر (من البسيط) :

ساروا الينا بنصفِ الليل فاحتملوا ... فلا رَهينةَ الّا سيّدٌ صَمَدُ

سيروا رُوَيْداً فانّا لن نفوتَكُمُ ... وانّ ما بيننا سهلٌ لكم جَدَدُ

انّ الغزالَ الذي ترجونَ غِرّتَهُ ... جمعٌ يَضيقُ بهِ العِتكانُ اوأَطَدُ (١

مستحقباً حَلَقَ الماذي بحُفْرتهِ (٢ ... ضربٌ طِلَحفٌ وطعنٌ بينَهُ خَضِدُ

وروى ايضاً (٤ : ٦١٩) يخاطب رجلاً من بني عَوف كان قد هجا ابا جهل وتناولَ قريشاً (من الوافر) :

أتدري من هجوتَ ابا حبيبٍ ... سليل (٣ خضارمٍ سكنوا البِطَاحا

أزادَ الرَّكبِ تذكرُ ام هشاماً ... وبيتَ الله والبلدَ اللَّقاحا (٤

همُ منعوا الاباطحَ دون فهرٍ ... ومن بالخيف والبُدُنَ اللِقاحا

---

١) ويروى : عزّتهُ . وقال : أَطد ارض بقرب الكوفة نزلها جيش المسلمين في اوّل ايّام الفتح . وعِتكان موضع آخر وقال الأسود : العتكان وأَطدِ اودية لبني جدلة (قوم الزبرقان)

٢) ويروى : بجُفرتهِ ٣) ويروى : ابا خبيب حليلَ ٤) وهذان البيتان قد رواهما في الاغاني (٢ : ٥٩) لبعض بني انف الناقة مع ما يتلوهما . قالهما في الزبرقان اذ منع بئرهُ عن ابناء السبيل وهو يروي : اتدري من منعتَ ورودَ حوضٍ . . . تمنعُ ام هشاماً وذا الرحين امنعهم سلاحا

بضربٍ دون بَيْضتهم طلحفٍ اذا الملهوف لاذَ وصاحا
وما تدري بأيّهم تُلاقي صدورَ المَشْرفيَّة والرماحا

هذا ما وقفنا عليهِ من شعر الزبرقان. وقد اختلفوا في الحكم عن طبقتهِ. سبق لابن سلّام في طبقاتهِ (ص ٢٥) انهُ دعا الزبرقان « شاعرًا مفلقًا » وكذلك قدَّمهُ وَفْدُ تميم لمحمَّد كشاعرهم وفي ذلك دليل على حسن رتبتهِ بين الشعراء. وقد حكم غيرُهم في انهُ من الشعراء المتوسطين فذكرهُ السيوطي في المزهر (٢ : ٢٤٤) بين المغلَّبين لتغلُّب الحطيئة وبغيض بن عامر والمخبَّل السعدي وعمرو بن الاهتم (١ عليهِ في بعض المواقف. وكذلك ورد في الاغاني (٢١ : ١٧٤) لربيعة بن حُذار الاسدي لمَّا تحاكم اليهِ علقمة بن عبَدة التميمي والزبرقان والمخبَّل وعمرو بن الاهتم انهُ قال للزبرقان : « اما انت يا زبرقان فانَّ شعرك كلَحْم لم يَنْضج فيؤكل ولا تُرِك نيئًا فيُنتفعُ بهِ »

٨ عديّ بن حاتم

هو عديّ بن حاتم الطائيّ بن عبدالله الطائيّ ويكنى ابا طريف. وابوهُ حاتم هو الذي يضرب العرب بهِ المثل في الجود والكرم. وقد نشأ عديّ في حِجْر والدهِ وتخلَّق باخلاقهِ وصار بعد وفاتهِ خلفًا لهُ في رئاسة قومهِ فكان بنو طيّ ينقادون لهُ في كلّ امورهم. وكان عديّ نصرانيًّا لا خلاف في ذلك وقد صرَّح بنصرانيَّتهِ ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٧٤٧) والطبري في تاريخهِ (١ : ١٧٠٧) وقد ذكر عن نفسهِ انهُ كان ملكًا في قومهِ يسير فيهم بالمرباع على خلاف قوانين دينهِ وانهُ كان ركوسيًّا وقد اختلفوا في معنى ذلك فقالوا الركوسيَّة مذهب من مذاهب النصارى وقال ابن الأعرابي بل هو نعتٌ من نعوتهم (راجع التاج في مادَّة ركس)

وممَّا رواهُ في معجم البلدان عن سبب تنصُّرهِ (٣ : ٩١٣) انهُ كان عتَرَ عند صنمٍ

١) وفي ابن الاهتم قال محمَّد « انَّ من البيان لسحرًا » وكان سمعهُ يمدح الزبرقان في امور ويذمهُ في اخرى فأحسن بكليهما (امثال الميداني ١ : ٧)

لطيٍّ يُدعى الفَلْس يعبدونهُ ويهدون اليهِ ويعترون عنده عتائرهم ولا يأتيهِ خائف الَّا أمن ويزعمون انَّ لا احدًا يستطيع ان ينتهك حرمتهُ الَّا أُصيب بداهيةٍ . فخرج مالك ابن كلثوم الشمخي يطلب ناقةً لجارة استغاثت بهِ فوجدها موقوفة عند الفَلْس فحلَّ عقالها ونوَّل الصنم برمحهِ فدعا عليهِ سادنُ الصنم . فبلغ خبرهُ عديًا وجلس هو ونفر يحدّثون بما صنع مالك وفرغ من ذاك عديّ بن حاتم وقال: انظروا ما يصيبهُ في يومهِ . فمضت لهُ ايَّام لم يُصبهُ شيء فرفض عدي عبادتهُ وعبادة الاصنام وتنصَّر

وبقي عديّ على نصرانيتهِ بعد ظهور الاسلام الى السنة التاسعة من الهجرة وهو شديد الكراهية لرسول العرب حتى غزا المسلمون احياء طيٍّ فاسروا السفَّانة ابنة حاتم اخت عديّ فلاذت بمحمَّد بقولها : امنُن عليّ منَّ الله عليك . فعرف محمَّد انَّها ابنة حاتم الطائي ففكَّ اسرها واعادها الى قومها في الشام مكرَّمةً . فلمَّا قدمت الشام اخبرت اخاها بما فعل محمَّد فأثَّر ذلك بهِ ودفعهُ الى ان يَفِد بقومهِ الى محمَّد ويدين بالاسلام فولَّاهُ صدقات قومهِ . وكان عديّ احد المعمَّرين قيل انهُ عُمّر ١٨٠ سنة على ما روى ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمَّرين (ص ٣٧) وتوفي سنة ٦٨ هـ (٦٩٠م) فيكون وقع اسلامهُ اذ أربى عمرهُ على المئة والثلثين سنة فتأمَّل

وممَّا يُخبر عنهُ في الاسلام انهُ كان مواليًا لعليّ ولأنصارهِ وانهُ حارب مع المسلمين في مواقع كثيرة فسار مع خالد لفتح فارس وحضر يوم القادسيَّة ويوم المدائن ويوم جَلُولا ويوم نهاوند ويوم تُستَر وشهد مع عليّ الجمل وصفّين في محاربتهِ لمعاوية وذهبت عينهُ يوم الجمل وحارب الخوارج وهو لم يزل في عزّ قوَّتهِ ثمَّ نزل الكوفة وابتنى بها دارًا في طيٍّ . ومات بالكوفة زمن المختار

وكان عديّ ابيًّا فخورًا يرى السباق لقبيلتهِ . قيل انهُ لمَّا قدم على رسول الاسلام وحادثهُ قال لهُ : « انَّ فينا اشعر الناس واسخى الناس وافرس الناس » . اراد باشعر الناس امرءَ القيس بن حجر وباسخاهم حاتمًا والدهُ وبأفرسهم عَمرو بن معدي كرب . وكان لعديّ حظوة لدى الخلفاء والارباب فكان الجناة يستشفعون بهِ فينال لهم النجاة من العقاب

وكان عديّ مع ذلك شاعرًا وان لم يبلغ في ذلك مبلغ ابيهِ . فممَّا رواهُ لهُ البحتري في حماستهِ (ص ٥٨) قولهُ (من الطويل) :

مَنْ مُبلِغٌ أفناءَ مَذْحِجَ انَّني ثأرتُ بخالي ثمَّ لم أتأثَّمِ
تَركتُ أبا بكرٍ ينوءُ بصدرهِ بصِفّينَ مخضوبَ الكعوبِ من الدمِ
يذكِّرُني ثأري غداةَ لقيتُهُ فأجرَرْتُهُ رُمحي فخرَّ على الفمِ
يذكِّرني ياسينَ حينَ طعنتُهُ فهلّا تلا ياسينَ قبلَ التقدُّمِ

وروى لهُ ايضاً (ص ٣٠٣) قولهُ (من المنسرح) :

أَصبحتُ لا أَتبعُ الصديقَ(١ ولا أَملكُ ضرًّا للشانئِ الشَّرِسِ
وإنْ عَدا بي الكُمَيتُ مُنطلقاً لم تَملِكِ الكفَّ رَجْعةُ الفرسِ(٢
أَصبحتُ حِشًّا مُمَيَّتاً خَلَقاً قلبي لحبِّ الحياةِ في لَبَسِ

وروى لهُ ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمَّرين (ص ٣٧ ,éd. Goldziher) قولهُ وكان لمَّا اسنَّ استأذن قومهُ في وِطاء يجلس عليهِ في ناديهم وكان قد كبِر ورقَّ عظمهُ . فأبطأوا عليهِ فقال (من الوافر) :

أَجيبوا يا بني ثُعَلَ بن عمروٍ ولا تكمُوا الجوابَ من الحياء
فانّي قد كَبِرْتُ ورَقَّ عَظْمي وقَلَّ اللحمُ من بعْد النَّقاء
وأَصبحتُ الغداةَ أُريدُ شيئاً يقيني الارضَ من بردِ الشتاء
وِطاءً يا بني ثُعَلَ بنِ عمروٍ وليس لشيخكم غيرُ الوِطاء
فان تَرضَوْا بهِ فسُرورُ راضٍ وان تأبَوْا فانّي ذو إباء
سأَتركُ ما اردتُ لِما أَردتُمْ وردُّكَ مَنْ عَصاكَ من العَناء

---

١) ويروى في تذكرة الحمداني : لا انفع الصديق
٢) روى في التذكرة : وان جرى بي الجوادُ . . .

لأَني من مَساءَتكم بعيدٌ كبُعْد الارض من جوّ السماء
واني لا اكونُ بغير قومي فليسَ الدَّلوُ إلّا بالرِشاء

فأذنوا لهُ ان يَبسُط في ناديهم وطابت بهِ انفسُهم وقالوا : انت شيخنا وسيّدنا وابنُ سيّدنا وما فينا احدٌ يكرهُ ذلك ولا يدفعهُ

وقد رُويت لهُ ابيات من الرجز قالها في صفين (وقعة صفّين ٣: ٢٨١) :

اقول لمَّا أَن رأَيتُ المَعْمَعَهْ واجتمع الجندان وَسْطَ البَلْقعَهْ
هذا عليٌّ والهُدى حقًّا معَهْ فمن أَراد غيَّه فضعضعَهْ
يا ربِّ فاحفظهُ ولا تضيّعُهْ فانهُ يخشاكَ ربي فارفعُهْ

ورُوي لهُ ايضاً اذ حمل في صِفّين على عبد الرحمان بن خالد (٤: ٣٢١)

ارجو الهي واخافُ ذنبي وليس شيءٌ مثلُ عفو ربّي
يا ابن الوليد بغضُكم في قلبي كالهَضْب بل فوقَ قِنانِ الهَضْبِ

وروي لابنهِ طريف وكان في يوم صفّين حاملًا للواء فاقتحم ساحة الوغى وهو يقول راجزًا (٤ : ٣٠٢)

أَبعْد عَمَّارٍ وبعد هاشمِ وابنِ بَديلٍ فارس الملاحمِ
ترجو البقاء مثلَ حُلم الحالمِ وقد عضَضْنا امس بالأَباهمِ
فاليومَ لا تُقرَعُ سِنُّ النادمِ ليس امروٌ من يومهِ بسالمِ

ومن ظريف ما اخبرهُ ابن قتيبة في الشعر والشعراء عن كرم عدي بن حاتم ما حرفهُ قال (ص ٢٣٧) : « اتى سالم بن دارة الاسدي عديَّ بنَ حاتم فقال لهُ : قد مدحتُكَ . فقال عديّ : أَمسِكْ عليكَ حتى أُنبّئك مالي فتمدحني على حسبهِ . لي الفُ صانيةٍ والفا درهم وثلاثة أَعبُد وفرسي هذا حبيس في سبيل الله فقُلْ . قال :

تَحِنُّ قَلُوصي في مَعَدٍّ وانَّما تُلاقي الربيع في ديار بني ثُعَلْ

وأبقى الليالي من عديّ بن حاتمٍ حساماً كلونِ المِلحِ سُلَّ من الخِلَلْ
ابوكَ جوادٌ لا يُشَقُّ غبارُهُ وانت جوادٌ ما تَعَذَّرُ بالعِلَلْ
فإن تتّقوا شرًّا فمثلُكُمُ اتّقى وان تفعلوا خيرًا فمثلكمُ فَعَلْ

فقال لهُ عديّ : أمسكْ عليك لا يبلغُ مالي اكثرَ من هذا . وشاطرَهُ مالهُ

سِمْعان بن هُبَيرة

هو ابو السَّمَّال (ويروى السمَّاك والسِّمال) سمعان بن هُبَيرة بن مساحق بن بُجَيْر ابن عُمير الاسدي شاعر نصرانيّ من بني اسد بن خزيمة اسلم مع قومهِ عند ظهور الاسلام لكنَّهُ ارتدّ الى دينهِ بعد وفاة محمَّد وتَبع طُليحة بن خويلد بن نوفل مع الحليفَين اسد وغطفان . فأسرع ابو بكر وارسل سريَّةً مع خالد بن الوليد فانهزم طليحة ولحق بنواحي الشام عند بني جفنة النصارى وتبدَّد قومهُ . فعاد سمعان بن هبيرة الى الاسلام

وقد نظم ابو حاتم السجستاني سمعانَ بن هُبيْرة في سلك المعمّرين قال (ص ٥٤ éd. Goldziher,) : انهُ عاش مائة وسبعاً وستين سنةً . قال الصفدي في الوافي بالوفَيات (Ms. de Paris, 716, ff.1867) : «سمعان بن هبيرة ابو السَّمَّال الاسدي الكوفيّ شاعر فصيح وفد على معاوية وكان مع طُليحة على الردَّة وكان لا يغلق على اربابهِ باباً فينادي مناديهِ في السوق والكناسة : « من كان ها هنا من الاعراب ممَّن ليست لهُ خطَّة فعليهِ بمنازل ابي السمَّال ألَا وبني كلب خاصَّةً » . فقيل لهُ : لِمَ خصصتَ كلباً . قال : لانَّهم ليس لهم في الكوفة كثيرُ اهل . فلمَّا بلغ ذلك عثمان بن عفّان اتّخذ للاضياف منازل . قال ابن المزربان : وسمعان بن هبيرة هو الذي شرب الخمر عند النجاشي في شهر رمضان نهارًا فهرب ابو السمَّال وحدَّ عليُّ بن ابي طالب عنهُ النجاشيَّ . ومن شعرهِ (من البسيط) :

لن ندَّعي معشرًا ليسوا بأخوتنا حتى المماتَ وان عزُّوا وان كرموا
اذ نحنُ حيٌّ جميعُ الامر حلَّتُنا غورًا تِهامةُ والإسافُ والحرمُ

ثمَّ استمرَّت بهم دارٌ مفرّقةٌ بين الجميع ودهرٌ زينُهُ أَضمُ

وهو الذي يقول (من الطويل):

وهازئةٍ من شيبتي وتحنّني وطولِ قعودي بالوصيد افكّرُ

تقول فَتَى سمعانُ بعد اعتدالهِ وبعد سواء الرأس فالرأسُ أزعرُ

فقلتُ لها لا تهزئي انَّ قَصْرَكِ م المنايا وريبُ الدهر بالمرء يغدرُ

فكم من صحيحٍ عاش دهرًا بنعمةٍ فحلَّ بهِ يومٌ اغرٌّ مشهَّرُ

وصار لِقًى في البيت لايبرحُ الفِنا رَذيًّا عليهِ كآبةٌ وتوقُّرُ

وقد كان مِدْلاجاً الى المجد مُتْعِباً اليهِ المطايا عُمرَهُ ليس يفترِ

فَلمَّا ترمَّتْهُ المنايا وريبُها تقوَّسَ منهُ الظهرُ فالخطوُ مُقْصَرُ(١

وعاد كفرخ النَّسر اعمى عن التي يُريدُ طوالَ الدهر يَهْذِي ويَهْدِرُ

فان الكُ شيخاً فانياً فلربَّما اصبتُ الذي أَهوى وما كنتُ احذرُ

ورُبَّ خيورٍ جمَّةٍ قد لقيتُها وشرٌّ كثيرٍ عن شواتي (٢ تحدَّرُ

وخيلٍ دعتني للنزالِ اجبتُها وفي الكفّ مني مَشْرَفيٌّ مذكَّرُ

وتحتي طِمِرٌّ مستطارٌ فؤادهُ سليمُ الشَّظا نهدٌ كُميتٌ مُضمَّرُ

تنازلتُ اذ نادَوا نَزالِ ونلتُ ما ينالُ الكريمُ الاحوذيُّ المشمِّرُ

فذلك دهرٌ قد مضى حلوُ عيشهِ وغادرني شأوًا اليَ الذئبُ يَكْشِرُ

وقد كنتُ أَبّاءً على القِرن مِرْجماً(٣ اجودُ واحمي المُسنِفاتِ وأَحبَرُ

---

١) قال الشارح: مُقْصَر مصدر صفة للخطو

٢) شواتُهُ جلدة رأسهِ

٣) مِرجماً اي شديدًا كأنهُ يُرجَم بهِ معاديهِ

وللموتُ خيرٌ لامرئٍ من حياتهِ بدارةِ ذُلٍّ عَلْ بلايا يوقَّرُ

(قال) يريد «على البلايا» فادغم اللام. وقال ابو حاتم: وآخر حرفٍ في كتاب سيبويه «عَلْماء يتوكَّلون» يريد «على الماء»

١٠ النجاشيّ الحارثي

هو قيس بن عمرو بن مالك بن معاوية بن خديج بن حِماس شاعر اليمن من بني الحارث بن كعب النصارى اصحاب نجران واسمهُ النجاشيّ يدلّ على ما كان لرهطهِ من العلاقة مع الحبش الذين ملكوا في اليمن بعد محاربتهم لذي نوّاس اليهودي. عاش دهرًا في الجاهليّة ولمّا فتح المسلمون انحاء اليمن اسلم النجاشي مع من دخل الاسلام لكنَّهُ لم يكترث لفرائض دينهِ. قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص١٨٨): وفي خزانة الادب (٤: ٣٦٨) «وكان النجاشي فاسقاً رقيق الاسلام» ثمَّ روى قصتهُ في رمضان مع سمعان بن هبيرة المعروف بابي السمّال قال «وخرج في شهر رمضان على فرسٍ له يريد الكناسة فمرَّ بابي سمّال الاسدي فوقف عليهِ فقال: هل لك في رؤوس حُملان في كرش في تنُّور من اوَّل الليل الى آخرهِ قد أينعت وتهرَّأت. فقال لهُ: ويحك في شهر رمضان تقول هذا. قال: ما شهر رمضان وشوَّال الَّا واحدًا. قال: فما تسقيني عليها. قال: «شراباً كأنهُ الورس يطيّب النفس ويجري في العِرق ويكثر الطُّرْق ويشدُّ العظام ويسهّل الكلام» . فثنى رجلهُ فنزل ودخلا المنزل فأكلا وشربا. فلمّا اخذ فيهما الشراب تفاخرا فعلَت اصواتهما فسمع ذلك جارٌ لهما فأتى عليّ بن ابي طالب رضَ فاخبرهُ فبعث في طلبهما . فامّا ابو السمّال فشقَّ الخُصَّ ونفذ الى جيرانهِ فهرب وأُخذ النجاشيّ فأُتِيَ بهِ عليّ بن ابي طالب فقال لهُ: ويحك وِلدانُنا صيام وانت مُفطر. فضربهُ ثمانين سوطاً وزادهُ عشرين سوطاً فقال: ما هذه العلاوة يا ابا الحسن. قال: هذه لجرأتك على الله في شهر رمضان. ثمَّ وقفهُ للناس في تبّانه ليروهُ فهجا اهل الكوفة قائلًا (من البسيط):

اذا سَقَى اللهُ قوماً صَوْبَ غاديةٍ   فلا سقى الله اهلَ الكوفةِ المَطرا

السارقين اذا ما جنَّ ليلُهمُ   والطالبين اذا ما أصبحوا السُّوَرا

ألقِ العداوةَ والبغضاء بينهمُ   حتى يكونوا لمن عاداهم جَزَرا

ومما يدلُّ على ضعف اسلامهِ قولهُ يهجو قريشاً ولقَّبها بسَخينة وهو طعام رقيق من دقيق وسَمْن كان القرشيُّون يكثرون من أكلهِ (من الطويل) :

انَّ قُرَيشاً والإقامَةَ كالذي   وَفى طَرِفاهُ بعد ان كان أَجْدعا (١

وحُقَّ لمن كانت سَخينَةُ قومَهُ   اذا ذُكر الاقوامُ ان يتقنَّعا(٢

وقال يهجوهم ايضاً (من الطويل) :

سَخينَةُ حيٌّ يعرفُ الناسُ لُؤْمها   قديماً ولم تُعْرَفْ بمجدٍ ولا كَرَمْ

فيا ضَيْعَةَ الدنيا وضيعةَ اهلها   اذا وُلّي المُلكَ التنابِلَةُ القُزُمْ

وعهدي بهم في الناس ناسٌ وما لهم   من الحظِّ الّا رِعْيةُ الشاء والنعَمْ

وهجا كذلك تميم بن أُبيّ بن مقبل وحيَّهُ بني العَجْلان (ابن قتيبة ص ١٨٨ وخزانة الادب ١ : ١١٢) فقال (من الطويل) :

اذا اللهُ عادى اهلَ لُؤْمٍ ورقَّةٍ   فعادى بني العَجْلانِ رَهطَ ابن مُقْبِلِ (٣

قُبَيِّلَةٌ (٤ لا يَغْدِرون بذمَّةٍ   ولا يظلمونَ الناسَ حَبَّةَ خردلِ

ولا يَرِدونَ الماءَ الّا عشيَّةً   اذا صدر الوُرَّادُ عن كل منهلِ

تَعافُ الكلابُ الضارياتُ لُحومَهم   وتأكل من كعبٍ وعوفٍ ونَهْشَلِ (٥

١) ويروى : والامانة . . وفى طرفيهِ . ويروى : وفى طرفاهُ ٢) ويروى : يتقنَّعا
٣) ويروى : اذا الله جازى . . فجازى ٤) ويروى : قبيلتهُ ٥) ويروى : ويأكلن من كعب بن عوفٍ

وما سُمّي العَجْلانَ الّا لقيلهم (١ خُذِ القَعْبَ واحلب ايها العبدُ واعجَلِ
اولئك اخوانُ اللعين واسوةُ الهجين ورهطُ الواهن المتذلّلِ

وكان بنو العجلان يفتخرون باسمهم لُقّب به جدُّهم عبدالله بن كعب لتعجيله القرى لضيوفه فلمّا قال النجاشيّ شعرهُ رغبوا عنهُ واستعدَوا على النجاشيّ عمر بن الخطاب فحبسَهُ وقيل جلَدَهُ

ومن هجائه قولهُ يهجو الانصار وقومهم الخزارجة من بني النجّار (من الطويل) :

لَستم بني النجّار أكفاء مثلنا فأبعدكم منّا هناك بأبعَدِ
فان شئتمُ نافرتُكُمْ عن ابيكمُ الى من أَردتم من تِهامٍ ومُنْجدِ

فالتجأ بنو النجّار الى حسّان بن ثابت ليردّ عليه ففعل وهجا بني الحماس رهط النجاشي وبني الحارث بن كعب فاهتمّ للامر عبدالله بن مدان الحارثي فأتى بالنجاشيّ الى حسّان فاعتذر اليه . ومن اقوال النجاشي في بني عبد المدان يمدحهم قولهُ (من الوافر) :

وقد كُنّا نقولُ اذا رأينا لذي جسمٍ يُعَدُّ وذي بيانِ
كأنّك ايُّها المُعطَى بياناً وجسماً من بني عبد المدانِ

وكان النجاشي يتشيّع ومن قوله في يوم صفّين كتب بهِ الى معاوية (ابن قتيبة ص٨٩ العقد الفريد لابن عبد ربه ٢ : ٢٩٤ وخزانة الادب ٤ : ٣٦٨ وحماسة البحتري (ص ٢٣٣) قال (من البسيط) :

يا ايُّها الملكُ المُبدي عداوتَهُ انظُر لنفسك (٢ ايّ الامر تأتمرُ
وما شَعرتُ بما أضمرتَ من حَنَقٍ حتّى أتتني بهِ الاخبارُ (٣ والنُّذُرُ
فإن نَفِستَ على الأقوام مجدَهمُ فابسُطْ يديك فان المجدَ يُبْتَدَرُ (٤

١) ويروى : لقولهِ
٢) ويروى : روِّ لنفسك ٣) ويروى : الانباء ٤) ويروى : فانّ الخير مبتدرُ

واعلم بأنَّ عليَّ الخيرِ من نَفَرٍ(١ شُمّ العَرانينِ لا يعـلوهمُ بَشَرُ
نِعْمَ الفتى انت(٢ إلّا أنَّ بينكما كما تفاضلَ ضوءُ الشمسِ والقمرُ(٣
ومـا إخالُـكَ إلّا لستَ مُنْتهياً حتّى يَمَسَّك من اظفارهِ ظُفُرُ (٤
إني امرؤٌ قلَّ ما أُثني على أحـدٍ حتى أُبيّنَ ما يأتي ومـا يذَرُ (٥
لا تحمـدنَّ امرءًا حتى تجرّبَـهُ ولا تذُمّنَّ مَنْ لم يَبْلُهُ الخبرُ (٦

ومنها في حماسة البحتري (ص ١٩) :

أَمشي الضَّرَاء لأَقوامٍ أُحاربُهم حتّى اذا ظهرتْ لي منهمُ الفُـقَرُ
جمعتُ ضَبْرًا جَراميزي بداهيةٍ مثـل المنيّـة لا تُبْقي ولا تَذَرُ

وقال ايضاً يهجو معاوية ودعاهُ بابن حرب ويذكر يوم صفّين (مجموعة المعاني ص ٤٤ حماسة البحتري٥٤ والاغاني١٢ : ٧٣و٧٦) (من الطويل) :

فمن يَرَ خيلَيْنا غَـداةَ تلاقَيـا يَقُلْ جَبَـلا الغوريِّ ينتطحـانُ
ففرَّت ثقيفٌ فرّقَ اللهُ جمعَهـا الى جبـلِ الزيتونِ والقطَرانِ
كـأني اراهم يطرحونَ ثيـابهم من الرَّوع والخَيْـلانِ تَطّرِدانِ
فيا حَزَنًا أَنْ لا اكونَ شَهِـدتُهمْ فأَدْهُنَ من شحم اللئـام سِناني
وامّـا بنو نصرٍ ففرَّ شريـدُهُمْ الى الصَّلَتـانِ الجَون والعَلَجانِ
وفرَّت تميمٌ سَعْدَهـا ورَبَابَهـا الى مَنْبَتِ التَّنّوم والشَّبَهـانِ

١) ويروى : من بشر ٢) ويروى : هو ٣) ويروى : نور الشمس
٤) ويروى : وما اظنّك . . حتى ينالك من اظفارهم ٥ ويروى : حتى ارى بعض ما
٦) ويروى : لا تمدحنَّ

وَصدَّت بنو وَدٍّ صُدودًا عن القنا الى آبِلٍ في ذلَّةٍ وهَوانِ (١

ونجّى ابنَ حَرْبٍ سابحٌ ذو عُلالةٍ أَجشُّ هَزيمٌ والرماحُ دواني

من الأَعوجيّاتِ الطِوال كأَنهُ على شَرَفِ التقريبِ شاهُ إرانِ

شديدٌ على فأسِ اللِجام شكيمهُ يفرّجُ عنهُ الرَّبْوَ بالعَسَلانِ

سليمُ الشَّظَا عَبْلُ الشَّوَا شَنِجُ النَّسا اقبُّ الحشا مستطلعُ الزَّفيانِ (٢

كأنَّ عُقاباً كاسرًا تحتَ سَرجِهِ يُحاول قُربَ الوَكْرِ بالطيَرانِ

اذا قُلْتُ اطرافُ العوالي (٣ يَنَلْنَهُ مرَتْهُ بهِ الساقانِ والقدمانِ

اذا ابتلَّ بالماءِ الحميم رأيتَهُ كقادمةِ (٤ الشؤبوبِ ذي الهطلانِ

كأنَّ جَنابَيْ سَرجِهِ ولِجامهِ من الماءِ ثَوبًا مائحٍ خَضِلانِ

من الوُرْدِ او أَحرى كأنَّ سراتَهُ بُعَيْدَ جَلاءٍ ضُرِّجتْ بِدِهانِ

جَزاهُ بنُعمى كان قدَّمها لهُ بما كان قَبْلَ الحرب غيرَ مُهانِ

ومنها بيتان في خزانة الادب (١ : ٤٠٠) يعرّض باختلاف الازد في قبائلهم قال :

وكنتُ كذي رِجلَيْنِ رجلٍ صحيحةٍ ورجلٍ بها رَيْبٌ من الحَدَثانِ

فأمَّا التي صحّت فأَزدُ شَنُوءَةٍ وامَّا التي شُلَّتْ فأَزدُ عُمانِ

ومنها ما رواهُ المسعودي في مروج الذهب (٤ : ٣٧٨) ذاكرًا لرفع معاوية وحزبه المصاحف في ساحة الحرب يوم صفّين :

فأَصبحَ اهلُ الشام قد رفعوا القنا عليها كتابُ الله خيرُ قُرانِ

١) رواهُ ياقوت في معجم البلدان (١ : ٥٦) قال اراد آبل الزيت بالاردنّ من مشارف الشام ٢) ويروى في الاغاني : أكيد النضى باقٍ على النسلان ٣) ويروى : اذا خلتُ اطراف الرماح ٤) ويروى : اذا بلَّ ليتَيهِ . . كقاذفة

ونادوا عليها يا ابنَ عمّ محمّدٍ أما تتّقي أنْ يهلكَ الثّقَلانِ

والى ذلك يشير النجاشيّ في ابياتٍ رواها في حماسة البحتري (ص ٤٣) :

أَبْلِغْ شِهاباً اخا خَوْلانَ مأْلُكَةً (١ أنّ الكتائبَ لا يُهْزَمْنَ بالكُتُبِ

تُهدي الوعيد برأسِ السّرْوِ مُتّكئاً (٢ فان اردتَ مِصاعَ القومِ فاقتربِ

وان تَغِبْ في جُمادى عن وقائعنا فسوف نَلْقاكَ في شَعبانَ اورَجَبِ

وروى لهُ المسعودي (طبعة مصر ٢ : ٣٧) رثاء الحسن بن عليّ لمّا سمّمتهُ جَعْدة بنت الاشعث (من السريع) :

جَعْدَةُ بكّيهِ ولا تسأمي بعد بُكاء المُعْوِلِ الثاكلِ

لم يَسبِلِ السمُّ الى مثلهِ (٣ في الارضِ من حافٍ ولا ناعلِ

كان اذا شبّت لهُ نارهُ يرفعُها بالسَّنَدِ الغائلِ

كيما يراها بائسٌ مُرمِلٌ وفردُ قومٍ ليس بالآهلِ

يُغْلي بنَيْءِ اللحم حتى اذا انضجهُ لم يغلِ للآكلِ (٤

اعني الذي أسلَمَنا هُلكُهُ للزمن المستخرج الماحلِ

وروى لهُ المبرّد في الكامل (ص١٨٧) يخاطب معاوية ويمدح عليًّا (من المتقارب) :

دَعاً (٥ يامُعاويَ ما لن يكونا فقد حقّق الله ما تحذرونا

أتاكم عليٌّ باهلِ العراقِ واهل الحجاز فما تصنعونا

ومن شعرهِ قولهُ يخاطب قومهُ اليمنيّين لمّا اراد معاوية ان يغزو اليمن في البحر

١) روى في الحماسة البصريّة : ابلغ شهاباً وخيرُ القول اصدقهُ ٢) وروى فيها : باعلى الدمل (؟) من اضَمٍ ٣) ويروى : لم يُسبَل السترُ على مثلهِ ٤) جاءَ في الاصل «لم يغل كل آكلٍ» والبيت مكسور ٥) دعاً مثل «دَعْنْ»

وتميماً في البرّ (خزانة الادب ١ : ٤٦٧) (طويل) :

أَلا ايُّها الناسَ الذين تجمَّعوا بعكّاً أُناسٌ انتمُ ام أَباعِرُ
أَيتْرُكُ قيساً آمنينَ بدارهم ونركبُ ظهرَ البحرِ والبحرُ زاخرُ
فوالله ما ادري واني لسائلٌ أَهَمْدانُ تحمي ضَيْمَها ام يُحابرُ
ام الشرفُ الاعلى منَ اولادِ حميرٍ بنو مالكٍ ان تستمرَّ المرائرُ
أأوصى ابوهم بينهم أَن تَوَاصَلُوا واوصى ابوكم بينكم ان تَدَابَرُوا

فرجع القوم جميعاً من وجههم فبلغ ذلك معاوية فسكّن منهم وقال : انا أُغزيكم في البحر لانهُ ارفقُ من الخيل واقلُّ مؤونةً

وروى البحتري (ص ٦١) للنجاشيّ في إخلاف الوعد (من الطويل) :

متى نَلْقَكم عاماً يَكُنْ عامَ عِلَّةٍ ويَنْظُرْ بنا عامٌ من الدهر مُقبِلُ
فوالله ما ندري أَما عندكم لنا يُريثُ على الموعودِ ام نحنُ نُعجِلُ

وروى لهُ ايضاً في التشبُّه بالاجداد (ص ٢٢١) قولهُ (من الطويل) :

وما فيَّ من خيرٍ وشرٍّ فانَّها سجيَّةُ آبائي وفعلُ جدودي
هم القومُ فَرْعِي منهمُ متفرّعٌ وعُودهُمُ عند الحوادثِ عُودي

وروى لهُ الجاحظ يذكر فضل قحطان على عدنان (من الطويل) :

ايا راكباً إمّا عَرَضتَ فبلِّغَنْ بني عامرٍ مني لذاك ابنِ صَعْصعِ
ثبتُّم ثبات الخيزَرانيّ في الوغى[1] حديثاً متى ما يأتِكَ الخيرُ يَنفَعِ

ومن ظريف ما رُوي للنجاشيّ في خزانة الادب (٤ : ٣٦٧) قولهُ في التقائه بالذئب (من الطويل) :

[1] ويروى : نبتم نبات الخيزراني في الثرى

وماءٍ كلَون الغِسْل قد عادَ آجِناً قليلٌ بهِ الاصواتُ في بلدٍ مَحْلِ
وجدتُ عليهِ الذئبَ يَعْوي كأنَّهُ خليعٌ خلا من كلّ مالٍ ومن اهلِ
فقلتُ لهُ يا ذئبُ هل لك في فتًى يؤاسي بلا مَنٍّ عليك ولا بُخْلِ
فقال هَداكَ الله للرُّشد انَّما دعوتَ لِما لم يأتِهِ سَبُعٌ قبلي
فلستُ بآتيهِ ولا أستطيعُهُ ولاكِ اسْقِني ان كان ماؤكَ ذا فضلِ (١
فقلتُ عليك الحوضَ اني تركتُهُ وفي صَغْوهِ فضلُ القَلُوصِ من السَّجْلِ
فطَرَّبَ يستدعي ذِئاباً كثيرةً وعَدَّيتُ كلٌّ مِن هواهُ على شغلِ

وروى البحتري (ص٢٢١) منها بيتاً في الانتساء بالأجداد :

خلائقُ فينا من ابينا وجدِّنا كذلك طِيبُ الفرعِ ينمي على الاصلِ

وذكر لهُ الطبريّ (١ : ٢٦٨٤) بيتين في الربعيّ بن عامر وكان استخلفهُ الاحنف ابن قيس على طخارستان سنة ٢٢ هـ (٦٤٤م) قال وقد نسبهُ الى امّهِ وكانت من اشراف العرب (من الطويل) :

أَلا رُبَّ مَن يُدعى الفتى ليس بالفتى أَلا انَّ رِبْعيَّ ابنَ كأسٍ هو الفتى
طويلٌ قُعودُ القوم في قَعْر بيتهِ اذا شَبعوا من ثُفْل جفنتهِ سقَى (٢

وفي معجم البلدان (١ : ١٠٥) روى لهُ قولهُ (من الطويل) :

أَلجَّ فؤادي اليوم فيما تذكَّرا وشطَّتْ نوى مَن حلَّ جوًّا ومَحْضَرا
من الحيّ ان كانوا هناكَ واذ ترى لك العينُ فيهم مستراداً ومَنْظَرا
وما القلبُ الَّا ذكرهُ حارثيَّةً حَوارِيَّةً يحيي لها اهلُ أَبهرا

١) ولاكِ هنا مثل ولكن ٢) ويروى : من بقل جفنتهِ ومن مِلءِ جفنتهِ . ويروى : شفى

قالَ : أبهر مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل

واخبر المبرّد (ص٧٦٨) ان رجلًا وقف على قبر النجاشي فترحّم وقال: «لولا ان القول لا يُحيط بما فيك والوصف يقصرُ دونك لأطنبتُ بل لأسهبتُ». ثم عقر ناقتهُ على قبرهِ وقال (من الطويل) :

عقرتُ على قبر النجاشيّ ناقتي بأبيضَ عضبٍ اخلصَتهُ صياقِلُهْ

على قبر من لو انّني متُّ قبلَـهُ لهانت عليهِ عند قبري رواحلُـهْ

وقال خديج بن عمرو اخو النجاشي يرثيهِ (معجم البلدان ٤ : ٣٥٢) :

من كان يبكي هالكاً فعلى فتًى ثوى بِلوَى لَحجٍ وآبَتْ رواحلُـهُ

فتًى لا يُطيع الزاجرين عن الندى وترجع بالعصيـان عنهُ عواذلُـه

قال ياقوت : « لَحج مخلاف في اليمن»

١١ جُحَيَّة بن المُضرِّب الكندي

هكذا كتب اسمَهُ صاحب الاغاني (٤: ١١٧—١١٨و٢١: ١٤) وضبطهُ بتقديم الجيم المضمومة على الحاء المفتوحة. وفي الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٢٢) كُتب حُجَيَّة بتقديم الحاء على الجيم ومثلهُ في حماسة ابي تمّام (ص٥٢٢) وفي نوادر ابي زيد (ص٥٣ و٧٧). وكذلك رووا «المضرَّب» بفتح الراء المشدّدة . كان جُحَيَّة من اهل اليمن من بني قتيرة من حيّ السكون من كندة جاهليًّا ادرك الاسلام. وكان يدين بالنصرانيَّة كما شهد عليهِ صاحب الاغاني (٢١: ١٥) . وقد روى لـهُ هناك اخبارًا قليلة يؤخذ منهـا انهُ عاش الى ايّام عُمر بن الخطّاب . ويؤخذ منهـا ايضاً ومن نوادر ابي زيد (ص ٥٣) انهُ كان لجحيَّة اخوان مَعدان ومنذر وكانت امرأتهُ زينب من بنات عمهِ ولهُ ولد منها يدعى حَوطاً . وقال التبريزي في الحماسة (ص ٦٨) : « ويكنّى ابا حوط وهو شاعرٌ جاهلي وفارس مقدام حليف في بني ابي ربيعة بن ذُهل بن شيبان»

وقد افتتح ابو الفرج الاصبهاني اخبار جحيَّة بقصَّة القاسم بن محمَّد بن ابي بكر

واختهِ وكيف احتملها عمّها عبد الرحمان بن ابي بكر من مصر لمّا قتل اباهما معاوية ابن حُدَيج الكندي وعمرو بن العاص (قال) : وقدم بهما الى المدينة فبعثت اليهما عائشة (زوج رسول المسلمين) وعُنيت بتربيتهما . ولمّا شبّا ردّتهما الى عبد الرحمان بقولها : « ها هما هذان فضمَّهما اليك وكن لهما كبُرجيَّة اخي كندة »

فاستطرد هنا صاحب الاغاني وذكر برّ بُرجيَّة ببني اخيهِ فقال : « انَّهُ (اي بُرجيَّة) كان لهُ اخٌ يقال لهُ معدان مات وترك صِبيةً صغارًا في حِجْر اخيهِ فكان أبرَّ الناس بهم واعطفهم عليهم وكان يؤثرهم على صبيانهِ فمكث بذلك ما شاء الله . ثمَّ انهُ عرض لهُ سفرٌ لم يجد بُدًّا من الخروج فيهِ فخرج واوصى بهم امرأتهُ وكانت احدى بنات عمهِ وكان يقال لها زينب فقال : « اصنعي ببني اخي ما كنتُ اصنعُ بهم » . ثمَّ مضى لوجههِ فغاب اشهرًا ثمَّ رجع وقد ساءت حال الصبيان وتغيَّرت فقال لامرأتهِ : ويلكِ ما لبني مَعْدان مهازيل وارى بنيَّ سمانًا ؟ قالت : كنتُ أواسي بينهم ولكنَّهم كانوا يعبثون ويلعبون . فخلا بالصبيان فقال : كيف كانت زينب لكم . قالوا : « سيئةً . ما كانت تعطينا من القوت الَّا مِلْءَ هذا القدح من اللبن » . واروه قدحاً صغيرًا فغضب على امرأتهِ غضباً شديدًا وتركها حتى اذا اراح عليهِ راعياه إبلَهُ قال لهما : اذهبا فانتما وإبلكما لبني مَعْدان . فغضبت من ذلك زينب وهجرتهُ وضربت بينهُ وبينها حجاباً . فقال : واللهِ لا تذوقين منها صَبُوحاً ولا غَبوقاً ابدًا . وقال في ذلك (من الطويل) :

لَجِجْنا ولَجَّتْ هذهِ في التعصُّبِ ... ولَطِّ الحِجابِ بيننا والتغضُّبِ (١

وخطَّت بفِرْدَيْ إثْمِدٍ جَفْنَ عينها ... لِتَقتلني وشدَّ ما حُبُّ زينبِ

تلومُ على مالٍ شفاني مكانُهُ ... فلومي حياتي مابدا لكِ واغضبي (٢

رَحِمتُ بني مَعْدانَ اذ قلَّ مالُهم ... وحُقَّ لهم منّي وربِّ المُحَصَّبِ

١) ويروى : ولطّ . وفي حماسة ابي تمّام (ص ٥٢٢) : دوننا والتنقُّبِ . قال الشارح : التغضُّب ان يغضب شيئاً بعد شيءٍ . والتنقُّب شدّ النقاب . واللَّطّ السَّتْر

٢) ويروى : اليكِ ولومي . ويروى في نسخة خطّية من حماسة ابي تمّام في مكتبتنا : فلومي عليهِ

وكان اليَتامى لا يَسُدُّ احتلالُهم هَدايا لهم في كلّ قَعبٍ مُشَعَّبِ (١

فقلتُ لعبـدَينا أَرِيحا عليهمُ سأجعلُ بيتي مثلَ آخرَ مُعزِبِ (٢

وقلتُ خذوها واعلموا انّ عمَّكم هو اليومَ اولى منكمُ بالتكسُّبِ

عِيالي أَحقُّ ان ينالوا خَصاصَةً وان يشربوا رَنْقاً لدى كلّ مشرَبِ (٣

ذكرتُ بهم عِظـامَ مَنْ لو اتيتُهُ حَريباً لآساني لدى كلّ مَركَبِ (٤

اخي والـذي إِنْ أَدْعُـهُ لِلمَّةٍ يُجبْني وان اغضَبْ الى السيفِ يَغضَبِ (٥

فلا تَحسبيني بُلْدُماً ان نكحتِهِ ولكنّني جُحَيَّةُ بنُ المضرّبِ (٦

ففي برّ جُحَيَّة باولاد اخيهِ وتفضيلهم على بنيهِ لَمَّا يُشعر بفضيلة مسيحيَّة راسخة. وقد روى صاحب لسان العرب (١٩ : ٦٦) حديثاً لعائشة تثني فيهِ على جُحَيَّة وعلى شعرهِ حيث قالت : « تروَّوا لشعر جُحَيَّة فانهُ يعين على البرّ »

وممَّا ورد من اخبارهِ في كتاب الاغاني (٢١ : ١٦) انَّ زينب امرأة جحيَّة لمَّا بلغها شعر زوجها السابق وما وهبهُ بني معـدان كرماً لم ترضَ بفعلهِ الجميل فخرجت حتى اتت المدينة فأسلمت وذلك في ولاية عمر بن الخطاب. فقدم جحيَّة المدينة فطلب زينب ان تُرَدّ عليهِ وكان نصرانياً فنزل بالزُّبير بن العوَّام فاخبرهُ بقصَّتهِ فقال لهُ : ايَّاك ان يبلغ هـذا عنك عُمَر فتلقى منهُ أَذًى . وانتشر خبر جُحَيَّة وفشا بالمدينـة وعُلم فيما كان مُقدَمُهُ فبلغ ذلك عُمَر فقال للزبير : قد بلغني قصَّة ضيفك وقد هممتُ

١) ويروى : رأيتُ اليتامى لا يَسُدُّ فُقورهم قال التبريزيّ : فُقور جمع فقر. والمصادر لا تُجمَع الَّا انهُ ذهب بهِ مذهب الاسم واعتقدهُ اسماً. والقَعْب القدح من الخشب. والمشعَّب المجبور في مواضع منهُ ٢) ويروى : أَريحوا .. بيت آخر . قال الشارح : أَريحا اي ردَّا الابل رواحاً اليهم . مِثل آخر اي مثل بيت آخر . مُعزِب يعني الذي عزبت بهِ اي بعدتَ عنهُ ٣) ويروى : بنيّ احقُّ ان ينالوا سَغابةً ... الى حين مَكسَب ٤) ويروى : أُحاقي بهـا مَنْ لو قصدتُ لمالهِ .. على كلّ مركبِ . ويروى ايضاً : حبوتُ بها قبرَ امرئٍ . قال : الحريب السليب يعني انهُ قضى حقّ اخيهِ الميت في بنيهِ ٥) ويروى : ان ادعهُ لعظيمةٍ ٦) هذا البيت رُوي في حماسة ابي تمَّام . (قال) البُلْدُم الثقيل الوخم

بهِ لولا تَحَرُّمهُ بالنزول عليك فرجع الزبير الى جُحيَّة فاعلمهُ قول عُمَر فقال جُحَيَّة في ذلك (من البسيط) :

انَّ الزُّبيرَ بنَ عوَّامٍ تداركني ... منهُ بسَيْبٍ كريمٍ سَيْبُهُ عِصَمُ
نفسي فداؤُكَ مأخوذًا بحُجْرتها ... اذشاط لَحمي واذ زلَّت بيَ القَدَمُ (١
اذ لا يقومُ بها الَّا فتًى أُنُفٌ ... عاري الاشاجع في عِرنينهِ شَمَمُ

ثمَّ انصرف من عندهِ متوجهاً الى بلدهِ آنساً من زينب كئيباً حزيناً فقال في ذلك ابياتاً ذكر في الاغاني (٤: ١١٧–١١٨) فيها صوتاً ليونس (من الطويل) :

تَصَابيتَ ام هاجت لك الشوقَ زينبُ ... وكيف تَصابي المرءِ والرأسُ اشيَبُ
اذا قَرُبتْ (٢ زادَتْك شوقاً بقُربها ... وان جانبَتْ (٣ لم يُسْلِ عنها التجنُّبُ
فلا اليأسُ إنْ أَلْمتَ يبدو فترْعوي ... ولا انت مردودٌ بما جئتَ (٤ تطلبُ
وفي اليأس لو يبدو لك اليأسُ راحةٌ ... وفي الارض عمَّن لا يُؤَاتيكَ مذهبُ

(قلنا) انَّ في فعل عُمر لعجباً اذ فصل بين جُحيَّة وامرأتهِ وتهدَّد زوجها بالاذى. وفيه دليل واضح على ما كان من الضغط في اوَّل الاسلام على من يأبى الدخول في دينهم. وفي ثناء عائشة لبرّ جحيَّة واكرام الزبير لضيفهِ ما هو اجمل بهما

امَّا شعر جُحيَّة فقد اخذ اكثرهُ الضياع وانَّا وقفنا لهُ على بعض المقاطيع نرويها بحرفها. فمن ذلك مدحهُ لابن العبَّاس القرشيّ الهاشميّ (من الطويل) :

اذا ما ابنُ عبَّاسٍ بدا لكَ وجههُ ... رأيتَ له في كلّ احوالهِ فَضْلا
اذا قال لم يَترك مقالًا لقائلٍ ... بمُنْتَصِحاتٍ لا ترى بينها فَصْلا
كفى وشفى ما في النفوس ولم يَدَعْ ... لذي إرْبَةٍ في القول جدًّا ولا هَزْلا

١) ويروى : بحجرتهِ ... واذ ولَّت ٢) ويروى : اقربت
٣) ويروى : جنّبت ٤) ويروى : بما انت

وروى لهُ القالي في اماليهِ (١ : ٥٤) عن ابن الكلبي قولهُ يمدح يَعفُر بن زُرْعة احد الأَملوك املوك رَدْمان (من الطويل) :

اذا كنتَ سآَّلًا عن المجد والعُلَى ... وابنَ العطاء الجزلُ والنائلُ الغَمْرُ

فنقّب عن الأَملوك واهتف بيَعْفُرٍ(١ ... وعِش جارَ ظلٍّ لا يغالبُهُ الدهرُ

اولئك قوم شيَّد اللهُ فخرَهم ... فما فوقَهُ فخرٌ وان عَظُمَ الفخرُ

أُناسٌ اذا ما الدهرُ اظلَمَ وجهُهُ ... فأيديهِم بيضٌ وأوجُهُهم غُرٌّ (٢

يصونونَ أَحساباً ومجدًا مؤثَّلًا ... ببذلِ أَكُفٍّ دونها المُزْنُ والبحرُ

فلو لامَسَ الصخرُ الاصمُّ أَكُفَّهم ... افاض(٣ينابيعَ الندى ذلك الصخرُ

سمَوا في المعالي رتبةً فوق رتبةٍ ... احلَّتْهُمُ حيث النعائمُ والنَّسْرُ

افادت لهم احسابُهم فتضاءَلَتْ ... لِنورهمُ الشمسُ المُنيرةُ والبدرُ

ولو كان في الارض البَسيطةِ منهمُ(٤ ... لمختبطٍ عافٍ لَما عُرِف الفقرُ

شكرتُ لكم آلاءَكم (٥ وبلاءَكم ... وما ضاع معروفٌ يكافئهُ الشكرُ

وجاء لابي زيد في نوادرهِ (ص ٥٣) : قال جُحيَّة بن مضرّب الكنديّ وزعم المفضَّل انهُ بلغ بعض الملوك عن جحيَّة شيءٌ فبلغ ذلك جحيَّة فقال (من الطويل) :

ان كان ما بُلِّغْتَ عنّي فلامني ... صديقي وحُزَّتْ(٦ من يدَيَّ الانامِلُ

وكَفَّنتُ وحدي مُنْذرًا في ثيابهِ(٧ ... وصادفَ حوطاً من اعادِيَّ قاتلُ

قال ابو زيد: منذر اخوهُ وحَوْط ابنهُ. وقولهُ في ثيابهِ اي لا اجد لهُ كفناً غيرها. وهذان البيتان رواهما ابو تمّام في حماستهِ (١ : ٦٨—٦٩) لمَعدان بن جوّاس الكندي

١) وفي الحماسة البصريَّة: بجعفرٍ ٢) ويروى: واوجههم زُهرُ ٣) ويروى: لفاضت ٤) ويروى : مثلهم ٥) ويروى : معروفكم
٦) ويروى : وشلَّت ٧) ويروى : في ردائه

١٢ امرؤ القيس بن عابس

هو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن امرئ القيس بن السِمْط بن عمرو بن معاوية بن الحارث الاكبر . كان من نصارى كندة ومن اهل اليمن كسميّه امرئ القيس بن حُجر . وروى اسمهُ في شرح شواهد التلخيص (ص ٦٢) « ابن عانس » بالنون . قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢٢) : « وكان شاعرًا ادرك الاسلام » . وهو معدود من الصحابة . قال ابن الاثير في أُسد الغابة (١ : ١١٥) : « وفد الى النبي فأسلم وثبت على اسلامهِ ولم يكن فيمن ارتدَّ من كندة وكان شاعرًا نزل الكوفة » . وهو غير امرئ القيس بن الاصبع الكلبيّ وكان ايضاً نصرانيًّا كما رواه في الاغاني (١٤ : ١٦٣) واسلم في زمن عمر بن الخطّاب فعقد لهُ على من اسلم من قضاعة بالشام وهو الذي زوَّج بثلث بناتهِ المحيَّاة وسلمى والرَّباب عليَّ بن ابي طالب ووالديهِ الحسن والحُسَين

وممَّا ورد من اخبار امرئ القيس بن عابس في كتاب الاصابة في تمييز الصحابة (١ : ١٢٣) وفي أُسد الغابة لابن الاثير (١ : ١١٥) ما حرفهُ : « كان بين امرئ القيس ورجل من حَضْرَمَوْت اسمهُ ربيعة بن عَبْدان خصومةٌ فارتفعا الى النبي صلعم وقال للحضرمي : بيّنَتَك وإلّا فيمينَهُ . قال : يا رسول الله ان حَلَفَ ذهب بارضي . فقال : مَنْ حَلَفَ على يمين كاذبة يقتطعُ بها حقَّ اخيهِ لقي الله وهو عليهِ غضبان . فقال امرؤ القيس : يا رسول الله فما لِمن تركها وهو يعلم انهُ مُحقّ . قال : الجنَّةُ . قال : فاني اشهدُك اني قد تركتُها لهُ » . (قلنا) وهذا نعم الدليل على استقامة الكندي ونفورهِ من الحَلَف كما اعتادهُ النصارى وتعلّموهُ من انجيلهم

ويؤخذ من تاريخ الطبري (ج ١ : ٢٠٠٥) انَّ امرؤ القيس بن عابس حضر فتح اليمن مع ابن زياد . وقال عبد الرحيم العبَّاسي في شرح شواهد التلخيص المسمَّى معاهد التنصيص (ص ٦٢) : « وشهد فتح النُجَير باليمن وهو حصن قرب حضرمَوْت ثمَّ حضر الكنديين حين ارتدُّوا فثبت على اسلامهِ ... ولمَّا خرجوا ليتتلوا وثب على عمّهِ فقال لهُ : ويحك يا امرءَ القيس أتقتُلُ عمَّك . قال : انت عمّي والله عزَّ وجلَّ ربّي

فقتلهُ» . (قلنا) هـذا ما تعلّمهُ من دينهِ الجديد . وورد في ابن حجر انهُ حضر فتوح الشام وكان يوم اليرموك على كردوس

امّا شعر امرئ القيس بن عابس فقليلٌ روى لهُ القدماء نتفاً فمن ذلك قولهُ (من الكامل) :

قِفْ بالديار وُقوفَ حابِسْ وتأنَّ انَّك غيرَ آنِسْ (١

لَعِبَتْ بهنَّ الغاديا تُ الرَّائحاتُ الى الروامِسْ (٢

ماذا عليك من الوقو فِ بها مَدَى الطَّلَلَيْنِ (٣ دارِسْ

يا رُبَّ باكيةٍ عليَّ م ومُنْشِدٍ لي في المجالِسْ

او قائلٍ يا فارساً ماذا رُزِئْتَ من الفوارسْ

لا تَعْجَبوا إن تسمعوا هَلَكَ امرؤ القيس بن عابِسْ (٤

قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء بعد ذكر الابيات الاولى الثلثة (ص٣٦٩) : اخذهُ الكميت كلّهُ غير القافية فقال :

قِفْ بالديار وقوفَ زائرْ وتأيَّ انك غيرُ صاغِرْ

ماذا عليك من الوقو فِ بهامدِ الطَّلَلَينِ داثِرْ

درجَتْ عليهِ الغاديا تُ الرائحاتُ من الاعاصِرْ

قال ابن حجر العسقلاني (١ : ١٢٤) يذكر نسب امرئ القيس بن عابس : «وجدُّ ابيهِ امرؤ القيس بن السِمط كان يقال لهُ ابن تَملِك وهي امُّهُ وقد ذكرهُ امرؤ القيس الشاعر في قصيدتهِ الرائيَّة فدعاهُ امرءَ القيس بن تَملِك فنسبهُ الى امّه» . والى ابن عابس نُسبت الابيات اللاميَّة الآتية في لسان العرب (٢٠ : ٢٠) وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٢٢) (من الهزج) :

---

١) ويروى : وقوف عابس وتأنَّ انَّهُ غير آنس . ويروى : وتأيَّ ٢) ويروى : العاصفات الرائحات من الروامِسْ ٣) ويروى : بهاتك الطَّلَلَيْنِ . وجامدِ الطَّلَلَيْنِ

٤) ويروى : عانس

أَيَا تَمْلِكُ يا تَمْلِي ذَرِينِي وذَرِي عَذْلِي (١
ذَرِينِي وسلاحي ثمَّ م شُدِّي الكفَّ بالغَزْلِ (٢
ونَبْلِي وفُقَاهَا م كعراقيبِ قطاً طُحْلِ
ومنّي نظرةٌ بعدي ومني نظرةٌ قبلي (٣
فإمّا مُتُّ يا تَمْلِي فمُوتِي حُرَّةً مثلي (٤

قال ابن حجر: وهذا الشعر ممَّا اختارهُ الاصمعي لخفَّة رويّهِ. وممَّا ورد في كتاب الاغاني (٣ : ٩٧—٩٨) من الابيات التي عليها اصوات ما رُوي لامرئ القيس بن عابس وقد رواها قوم لامرئ القيس بن حُجر بالغلط وهي الابيات الآتية (من الكامل) :

حيِّ الحُمولَ بجانب العَزْلِ . اذ لا يوافقُ شكلُها شكلي
اللهُ أنجحُ ما طلبتُ بهِ والبرُّ خيرُ حقيبةِ الرَّحْلِ
انّي بحبلكَ واصلٌ حَبْلي وبِريش نَبْلكَ رائشٌ نَبْلي
وشمائلي ما قد علمتَ وما نَبَحَتْ كلابُكَ طارقاً مثلي

وذكر هناك (ص٩٦—٩٩) الغناء الذي وضعهُ ابو هارون عطرد على هذه الابيات وكيف طرب لها الوليد بن يزيد فرمى حالهُ في بركةٍ مملوءة خمرًا فنهل منها حتى سكر فأُخرج منها كالميت

وذكر ايضاً دخول عبَّاد بن سلمة ابن قاضي البصرة ليلًا على عطرد مع جماعةٍ فلمَّا رآهُ عطرد ومن معهُ فزع فقال لهُ عبَّاد : لا ترَعْ

انّي قصدتُ اليك من اهلي في حاجة يأتي لها مثلي

١) تملي ترخيم تملك. ويروى: يا تملك . صِلِيني ٢) ويروى : بالعُزْلِ . وبالعَذْلِ
٣) ويروى: نظرة خلفي . قال في اللسان: اي افهمُ ما حضر وغاب
٤) ويروى . فكوني حُرَّة

فقال عطرد : وما هي اصلحك الله ؟ قال :

لا طالباً شيئاً اليك سوى «حيِّ الحُمولَ بجانب العزلِ»

اراد ان يُسمعهم غناءهُ في الابيات السابقة . فقال : انزلوا على بَركة الله فلم يزل يغنّيهم هذا وغيرهُ حتّى اصبحوا

وروى ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٨٠٩ و ٤ : ٦٦٢) لامرئ القيس بن عابس في وصف رَوْضة مَنْصَح وهي روضة لبني وكيعة بن كندة (من الطويل) :

أَلَا ليتَ شعري هل أَرى الوِرْدَ مرَّةً يُطالِبُ سَرْباً مُوكلًا بغِرارِ

أَمامَ رَعيلٍ او بروضةِ مَنْصَحٍ أُبادِرُ أَنعاماً وأَجْلَ صِوارِ

وهَلْ اشربَنْ كأساً بلذَّةِ شارِبٍ مُشعشعةً او من صريحِ عُقارِ

اذا ما جرَتْ في العظم خِلْتَ دَبيبَها دبيبَ صِغارِ النَّمْلِ وهي سَوارِ

وقال ابن حجر (١ : ١٢٤) انَّ ابن عابس كتب الى ابي بكر في الردَّة (من الوافر) :

أَلا بلِّغْ ابا بَكْرٍ رسولًا وبلِّغها جميعَ المسلمينا

فليس مجاورًا بَيْتي بيوتاً بما قال النبيُّ مكذّبينا

ويُروى لهُ في كتب الأُدباء ابيات متفرّقة . منها بيت في الكامل للمبرّد (ص ٥٤٦) (من الهزج) :

وقد اختلِسُ الضربةَ م لا يَدْمى لها نَصْلي

وروى لهُ البكري في معجم ما استعجم (ص ٦٦٩) في مادَّة عَمواس من قرى الشام بين الرملة وبيت المقدس (من الرمل) :

رُبَّ خِرْق مثل الهلالِ وبيضاءَ لَعُوب بالجِزْع من عَمَواسِ

وكذلك روى ياقوت في معجم البلدان (١ : ١٤١) عن امرئ القيس بن عابس (من المتقارب) :

فيا هِندُ لا تَنْكحي بُوهَةً عليـهِ عقيقَتُـهُ أَحْسَبـا

(قال)اي كأَن عقيقتَهُ لم تُحلَق في صغرِهِ حتى شاخ والأَحسب ما كان في شعره شقرة

ولم يذكر احد سنة وفـاة امرئ القيس بن عابس

١٣ نائلة بنت الفَرافصة زوجة الخليفة عثمان

هي نائلة بنت الفرافصة بن الاحوص بن عمرو بن ثعلبة الراقي نسبُها الى عليّ بن جناب من بني كلب النصارى . والفَرافِصة بفتح الفاء الاولى وكسر الثانية ويُروى القراصفة بالقاف . وقد شهد في كتاب الاغاني (١٥ : ٧٠) عن نصرانيَّـة الفرافصة ابي نائلة كما شهد الطبري في تاريخهِ على نصرانيَّة ابنتهِ نائلة . امَّا زواجها بالخليفة عثمان فوقع سنة٢٨ هجريَّة (٦٥٠م) قال الطبري في تاريخهِ (١ : ٢٨٢٧) : « وفي هذه السنة تزوَّج عثمان نائلة بنت الفرافصة وكانت نصرانيَّة فتحنَّفت (كذا) قبل ان يدخل بها »

وقد ذكر كتاب الاغاني (١٥ : ٧٠) سبب هذا الزواج وذلك انَّ عثمان بن عفّان بلغهُ انَّ سعيد بن العاص وهو على الكوفة تزوَّج هندًا بنت الفرافصة وبلغهُ نسبهـا وجمالها فكتب اليهِ : ان كانت لها اخت فزوّجنيها . فبعث سعيد الى الفرافصة يخطب احدى بناتهِ على عثمان فامر الفرافصة ابنَهُ ضبًّا فزوَّجها اياهُ وكان ضبّ مسلماً وكان الفرافصة نصرانيًّا وقد اوصاها قبل فراقها بما يحسن بها فعلُهُ اذا صارت بين نساء قريش . (قال) فلما حُملت كرهت الغربة وحزنت لفراق اهلها فأنشأت تقول لاخيها ضبّ (من الطويل) :

أَلستَ ترى يا ضَبُّ باللهِ انَّني مُصاحبـةٌ نحو المدينـة أَركبـا

اذا قـطعوا حَزْناً تحت ركابهم كما حرَّكت (١ريحٌ يراعاً مُثقَّبا

لقد كان في ابناء حصن بن ضمضم لك الويلُ ما يغني الخِباءَ المطنَّبا (٢

١) ويروى : كما زعزعت ٢) حصن بن ضمضم من اجداد نائلة . ويروى في فتيان حصن . . . ما يجزي الخباء المحجَّبا

قضى الله حقًّا ان تموتي غريبـةً بيثربَ لا تلقينَ امًّا ولا أبا

ولابن عائشة المغنّي لحنٌ في هذه الابيات . ثمَّ ذكر ابو الفرج دخولها على عثمان فقال لها : ألا تكرهين ما رأيتِ من شيبي . فقالت : اني من نسوة احبُّ ازواجهن اليهنَّ الكُهول. وانَّها كانت من أحظى نسائهِ عندهُ . وفي كتاب البدء والتاريخ (٥: ٢٠٢) انهُ اعطاها مائة الف من بيت المال

وكانت نائلة ابيَّة كريمة الطبع فلمَّا تآمر الناس على عثمان في السنة ٣٥ هـ (٦٥٦م) وحصروهُ اربعين ليلة صرفت نائلة زوجها عن نصيحة مروان بن الحكم فشتمها مروان وذكر نصرانيَّة والدها بقوله (الطبري ١ : ٢٩٧٤-٢٩٧٦) : «وما انت وذاك فوالله لقد مات ابوكِ وما يُحسن يتوضَّأ فقالت لهُ: مهلًا يا مروان عن ذكر الآباء تُخبر عن ابي وهو غائب تكذب عليهِ وانَّ اباكَ لا يستطيع ان يدفع عنهُ . أما والله لولا انهُ عمُّهُ (اي عمّ عثمان) وانهُ ينالهُ غمُّهُ اخبرتُك عنهُ ما لن اكذب عليهِ» . فاراد مروان ان يتعرَّض لها فقال عثمان: «لا تذكرْنها بحرفٍ فأُسوّدَ لك وجهَك فهي والله انصحُ لي منك» . فكفَّ مروان

وما لبث الناس ان تسوَّروا دار عثمان ومعهم السيوف يتقدَّمهم محمَّد بن ابي بكر فجلس عثمان والمصحف في يدهِ فنشرت نائلةُ شعرَها فقال لها عثمان : خذي خمارَكِ فلعمري لَدخولهم عليَّ اعظم من حرمة شعركِ . واهوى رجل اليهِ بالسيف . فأكبَّت عليهِ نائلة ابنة الفرافصة واتَّقت السيف بيدها فتعمَّدها وقطع اصابعها وولَّت فغمزَ اوراكها ثمَّ ضرب عثمانَ فقتلهُ . قال الطبري (١ : ٣٠٠٨) : واخذت ابنة فرافصة حَلْيَها فوضعتهُ في حَجْرِها وذلك قبل ان يُقتَل فلما قُتل ناحت عليهِ وقالت ترثيهِ (من الطويل) :

أَلا انَّ خير الناسِ بعد ثلثـةٍ (١ قتيلُ التُّجَيبيّ الذي جاء من مصرِ

وما ليَ لا ابكي وتبكي قرابتي وقد غُيّبت عنَّا فُضولُ ابي عمروِ (٢

١) قولها «بعد ثلثة» تريد محمَّدًا وخلفَيْه ابا بكر وعُمر . والتُّجيبي هو كنانة بن بشير الذي ضرب عثمان على جبهتهِ بعمود وضربه سعد بن حمران المرادي بالسيف

٢) ابو عمرو كنية عثمان . ويروى : وقد غيَّبوا عني

فترى ما اظهرتهُ نائلة من الشهامة في الدفاع عن زوجها ولا شكَّ بانَّ ما استقتهُ من مناهل النصرانيَّة من المبادئ الشريفة هو الذي ارشدها الى بذل نفسها دون الخليفة زوجها على خلاف نسائهِ العشر. وقد روى في الاغاني(١٥ : ٧١)انَّ نائلة بعثت قميص عثمان المضرَّج بدمهِ مع النعمان بن بشير الى معاوية واهل الشام وكتبت الى معاوية كتاباً مطوَّلًا دوَّنهُ هناك وفيهِ تصف قتل عثمان وممَّا قالت ما حرفهُ :

انّي اقصُّ عليكم خبرَهُ لأني كنتُ مشاهدةً امرَهُ كلَّهُ حتى قضى الله عليهِ. انَّ اهل المدينة حصروهُ في دارهِ يحرسونهُ ليلهم ونهارهم قياماً على ابوابهِ بسلاحهم يمنعونهُ كلَّ شيءٍ قدروا عليهِ حتى منعوهُ الماء . . . فمكث هو ومن معهُ خمسين ليلة واهل مصر قد اسندوا امرهم الى محمَّد ابن ابي بكر وعمَّار بن ياسر وكان عليّ (بن ابي طالب) مع الحَضَريين من اهل المدينة ولم يقاتل مع امير المؤمنين ولم ينصرهُ ولم يأمر بالعدل الذي امر الله تبارك وتعالى بهِ . . . فدخل عليهِ القوم . . . فقتلوهُ رحمة الله عليهِ في بيتهِ وعلى فراشه وقد ارسلتُ اليكم بثوبهِ وعليهِ دمهُ . . . »

قال الطبري (١ : ٣٢٥٥) : « ولمَّا قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان رضَ الذي قُتل فيهِ مخضَّباً بدمهِ وبأصابع نائلة زوجتهِ مقطوعةً بالبراجم اصبعان منها وشيء من الكفَّ واصبعان مقطوعتان من اصولها ونصف الابهام وَضعَ معاوية القميص على المنبر وكتب بالخبر الى الاجناد وثاب الناس اليهِ وبكوا سنةً وهو على المنبر والاصابع معلَّقة فيهِ وآلى الرجال من اهل الشام ألَّا يأتوا النساء ولا يمسَّهم الماء للغسل ولا يناموا على الفرش حتَّى يقتلوا قَتَلة عثمان او تفنى ارواحهم » . وكان ذلك سبب خروج معاوية بن سفيان ومحاربتهِ لعليّ بن ابي طالب في صفّين . وممَّا رواهُ ابن عبد ربّه في العقد الفريد (٣ : ٢٧٢) انَّ معاوية بعث الى نائلة يخطبها فارسلت اليهِ : ما ترجو من امرأة جذماء؟ وقيل انها قالت لمَّا قُتل عثمان : اني رأيتُ الحزن يبلى كما يبلى الثوب وقد خشيت ان يبلى حزن عثمان من قلبي . فدعت بفِهْر فهتمت فاها لتبقى ثابتة على عهد زوجها عثمان . قال النووي في تهذيب الاسماء (ص ١٨٥٥) : « سمعَتْ عثمان وروى عنها النعمان بن بشير وغيرهُ . . . وولدت لعثمان امَّ خالد وأروى وامَّ ابان وكانت احظى نساء عثمان عندهُ في وقتها وتزوَّجها وهي نصرانيَّة واسلمت عندهُ على يدهِ »

وقد روى ابو الفضل احمد بن ابي طاهر في كتاب بلاغات النساء (ص ٧٠—٧٢)

خطبةً خطبت بها نائلة في مسجد المدينة بعد قتل عثمان وهي متسلّبة في اطمار معها نساءٌ من قومها والخطبة طويلة افتتحتها بقولها :

« معاشر المؤمنة واهل الملّة لا تستنكروا مقامي ولا تستكثروا كلامي فاني حرَّى عَبْرى رُزئتُ جليلاً وتذوّقتُ ثُكلًا من عثمان »

ثمَّ اطنبت في فضل زوجها ومحاسنهِ واردفتُ بتقريع اهل المدينة قائلةً :

« سفكتم دمهُ وانتهكتم حرمَهُ واستحللتم منهُ الحُرَم الاربع حُرمة الاسلام وحرمة الخلافة وحرمة اشهُر الحرام وحرمة البلد الحرام فليعلمنَّ الذين سعوا في امرهِ ودبُّوا في قتلهِ ومنعونا عن دفنه اللهمَّ أنْ بئس للظالمين بدلًا وانهم شرٌّ مكانًا واضعف جندًا لَتتعبدَّنكم الشُّبُهات ولتفرقنَّ بكم الطرقات ولَتذكرُنَّ بعدها عثمان ولا عثمان وكيف بسخط الله من بعدهِ . . . »

(قال) ثمَّ اقبلت بوجهها على قبر النبي صلعم فقالت : اللهمَّ اشهد

أَيا قبرَ النبيّ وصاحبَيْهِ عذيري ان شكوتُ ضياع ثوبي(١

فاني لا سبيلَ فتنفعوني ولا ايديكمُ في منع حَوْبي

١٤ ميسون بنت بَحْدل الكلبيَّة

هي امرأة أخرى من نصارى كلب وابوها بجدل بن أُنيف من بني الحارثة بن جناب . وقد وصفها ابن عساكر في تاريخ دمشق وغيرهُ بالذكاء وقالوا انها كانت لبيبةً وَرِعة وهي زوج معاويةَ بن ابن سفيان وامّ ابنهِ يزيد . قال ابن الكلبي في الجمهرة (خزانة الادب ٣: ٥٩٢) : « كان معاوية بن ابي سفيان بعث رسولًا الى بهدلة بن حسّان بن عدي يخطب اليه ابنتهُ . فأخطأ الرسول فذهب الى بجدل بن أُنيف فزوَّجهُ ابنتهُ ميسون » وكانت بدويَّة فلمَّا اتَّصلت بمعاوية ونقلها من البدو الى الشام ضاقت نفسها لِمَا تسرَّى عليها وكانت تكثر الحنين الى اناسها والتذكّر لمسقط رأسها فعذَلها على ذلك وقال لها : انتِ في مَلكٍ عظيم وما تدرين قدرَهُ وكنتِ قبل اليوم في العباءة . فقالت (من الوافر) :

---

١) كنَت بضياع ثوبها عن فقدها لزوجها

لَبَيتٌ تَخْفِقُ الأَرواحُ فيهِ أَحبُّ اليَّ من قصرٍ مُنيفِ (١

ولُبسُ عباءَةٍ وتَقَرُّ عيني احبُّ اليَّ من لبس الشُّفوفِ (٢

وأَكلُ كُسَيْرَةٍ في كِسرِ بيتي احبُّ اليَّ من اكل الرغيفِ (٣

وكَلبٌ ينبَحُ الطُّرَّاقَ دوني أَحبُّ اليَّ من قِطٍّ أَلُوفِ (٤

وبَكْرٌ يتبعُ الأَظعانَ صَعْبٌ احبُّ اليَّ من بغلٍ زَفُوفِ (٥

واصواتُ الرياح بكلِ فَجٍّ احبُّ اليَّ من نَقْرِ الدُّفوفِ

وخِرقٌ من بني عمّي نحيفٌ احبُّ اليَّ من عِلْجٍ عَليفِ (٦

خشونَةُ عيشتي في البدوِ أَشْهى الى نفسي من العيش الظريفِ

فما ابغي سوى وطني بديلًا فحسبي ذاك من وطنٍ شريفِ

فلمَّا سمع معاوية الابيات قال لها: ما رضيتِ يا ابنة بجدل حتى جعلتِني علجاً عليفاً. قال اللخمي: «فطلَّقها وأَلحقها بأهلها وقال لها: كنتِ فبِنْتِ. فقالت: لا والله ما سُررْنا اذ كنَّا ولا أَسِفْنا اذ بِنَّا. ويقال انَّها كانت حاملًا بيزيد فوضعتهُ في البرّيَّة فمن ثمَّ كان فصيحاً». (قلنا) وفي خبر طلاقها المذكور نظرٌ والاصحّ عندنا ما روى الكلبيّ عن عوانة (الخزانة ٣: ٥٩٤) قال: «لمَّا زُفَّت ميسون بنت بجدل من بادية كلب الى معاوية وهو بريف الشام ثقل عليها الغربة والبعد عن قومها فسمعها ذات ليلة تقول هذه الابيات فقال: انا والله العِلْج. وازداد بها عجباً واليها ميلًا». وذكر ابن الاثير في تاريخهِ انَّ ميسون ولدت لمعاوية ابنةً اسمها أَمة ربّ المشارق ماتت صغيرةً

١) ارادت بالبيت خيمة البدو. وتخفق اي تضطرب. والأرواح جمع ريح كالرياح. والمنيف العالي ٢) تقرّ اي تسكن وترتاح من القرار. والشفوف جمع شِف وشَفّ وهو الثوب الرقيق ٣) والكُسَيْرة تصغير كسرة الخبز. والكِسر طرفُ الخباء من الارض ٤) الطُّرَّاق جمع طارق وهو الآتي ليلًا. ويروى. عنّي ٥) البكر الفتيّ من الابل. والاظعان جمع ظعينة وهي المرأة ما دامت في الهودج. والزَّفوف المُسرع ٦) الخِرق الكريم. العلج الصلب الشديد من حمار الوحش. والعليف المسمّن. قال الاعلم: تَعْني بهِ معاوية لقوَّتهِ وشدَّته مع سِمَنهِ ونَعْمته. ويروى العنيف بالنون ويروى الغَليف وهو الذي يصبغ لحيتهِ بالغالية

١٥ ابو زُبَيْد الطائيّ

﴿اسمهُ ورهطهُ﴾ هو ابو زُبَيْد الطـائي حَرْملة بن المنذر بن معدي كرب بن حنظلة بن النعمان بن حيَّة من قبيلة طيّ الراقية الى زيد بن كهلان من عرب اليمن. قال ابن دُريد في الاشتقـاق (ص ٢٣١) : « وزُبَيْد تصغير الزَّبـد وهو العطاء» . ورهطهُ بنو الحيَّة هم رهط اياس بن قبيصة وحنظلة بن ابي عفراء (الاغاني)

﴿زمانهُ ودينهُ﴾ قال ابو الفرج الاصبهاني (١١ : ٢٤) : ابو زُبَيْد هو ممَّن ادرك الجاهليَّة والاسلام فعُدَّ في المُخَضْرَمين. وجعلهُ ابو الحاتم السجستاني في جمـلة المعمَّرين قال (ص ٩٨) انهُ عاش مائة وخمسين سنة. وهكذا روى ابن الكلبي (الاغاني ١١ : ٢٨) وبلغ الى زمن علي ومعاوية. امَّا دينهُ فكان في الجاهليَّة النصرانيَّـة بلا شكّ كمعظم ابناء قبيلته طيء. وكاياس بن قبيصة وحنظلة بن ابي عفراء اللذين اثبتنا نصرانيَّتهما (اطلب كتابنا النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة ٨٩—٩٠ و٩٢ و١٣٣ و١٣٥). امَّا في الاسلام أثَبَتَ على دينهِ او أسلم فجـاء فيهِ قولان قال الطبري في تاريخهِ (ج ١ ص ٢٨٤٣) : « قدم ابو زُبَيْد على الوليد بن عُقْبة في الكوفة فلم يزل الوليد بهِ وعنهُ حتَّى اسلم في آخر امارة الوليد وحَسُن اسلامهُ» وكذا ورد في حاشية كتاب الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٣١). ويردّ هذا القول ما جاء في معظم كتب الادباء الذين يصفون ابا زبيد بالنصرانيّ حيثما ورد اسمهُ. فاذا رووا لهُ بيتاً قالوا « قال ابو زُبيد النصرانيّ » دون اشارة الى تغييرهِ دينهُ. قال ابو حاتم السجستاني في المعمَّرين (ص ٩٨) « وكان ابو زُبيد نصرانياً » لا بل يصرّحون بموتهِ نصرانياً. قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ١٦٧) : « ادرك ابو زُبيد الاسلام ومات نصرانيًّا » . ومثلهُ قال ابن سلَّام الجمحي في طبقات الشعراء (ص ١٩٦) وقال ابو الفرج في الاغاني (١١ : ٢٤) : « وكان ابو زُبيد نصرانياً وعلى دينهِ مات» . وتجد هناك عثمان الخليفة يكلّمهُ بقولهِ « يا اخا تُبَّع المسيح» . وذكر ايضاً (ص ٢٨) انهُ قبل موتهِ « كان يُحمل في كلّ احد الى البيعة» وبهذهِ الشواهد ردٌّ كافٍ على زعم الطبري . قـال في خزانة الادب ينتقد على زعم الطبري (٢ : ١٥٥) « وهذا خلاف ما قال العلماء انهُ مات على نصرانيَّتهِ »

﴿مُقامهُ واخبارهُ﴾ كان مقام ابي زُبَيْد بالرَقّة في الجزيرة وبها مات (اغاني ١١: ٢٨) وقال (ص ٢٧) : «كان اخوال ابي زُبَيْد بني تغلب وكان يقيم فيهم اكثر ايّامهِ وكان لهُ غلام يرعى ابلهُ» . وقال ابن سلّام في طبقات الشعراء (ص ١٩٦) : « وكان ابو زُبيد الطــائي من زوّار الملوك وللملوك العجم خاصّةً وكان عالمًا بسِيَرِها» وروى في الاغاني (١١ :٢٦) «انهُ اتى النعمان بن المنذر وجالَسَهُ » وقال ابن سلام : وكان عثمان ابن عفّان يقرّبهُ ويُدنيهِ ويدني مجلسه» . وكان ابو زُبَيْد طويل القامة جميل المنظر . روى في الاغاني (١١ :٢٨) عن ابن الكلبي عن ابيهِ ان «طول ابي زُبيد كان ثلثــة عشر شبرًا» (١ . امّا جمالهُ فقد روى عنهُ (٦: ٣٣) مسندًا قولهُ الى ابن دريد قال : « كان وضّاح اليمن والمقنَّع الكندي وابو زبيد الطائيّ يَرِدُون مواسم العرب مقنَّعين يستّرون وجوههم خوفاً من العين (!!) وحذارًا على انفسهم من النساء لجمالهم» . وقال ايضاً (١١ :٢٨) : كان ابو زبيد الطائيّ ممن اذا دخل مكّة دخلها متنكّرًا . وقال في خزانة الادب (٢: ١٥٥) « انّ عمر بن الخطّاب استعمل ابا زُبيد على صدقــات قومهِ ولم يستعمل نصرانيًّا غيرهُ » . وروي عن ابي زُبَيْد انهُ تنقّل الى بلاد مختلفة وانهُ دخل مكّة والمدينة وسكن مــدّة في الكوفة ينادم الوليد بن عقبة . قال في الاغاني (٤ : ٨٢-٨٣) : «انّ ابا زبيد وفد على الوليد بن عُقبة حين استعملهُ عثمان على الكوفة فانزله الوليد دار العقيل بن ابي طالب وهي دار القبطي على باب المسجد فاستوهبها منهُ فوهبها لهُ . فاحتجّ عليهِ اهل الكوفة انّ ابا زبيد كان يخرج اليهِ من دارهِ يخترق المسجد وهو نصرانيّ فيجعلهُ طريقاً . وقيل انهُ كان يخرج من منزلهِ حتّى يشقّ الجامع الى الوليد فيسمر عندهُ ويشرب معهُ ويخرج فيشقّ المسجد وهو سكران فذلك نبّههم عليهِ»

وقد ورد ذكر ابي زُبَيْد في كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار لخليل بن ايبك الصفــدي (Ms de Londres, 575, ff. 56-57) قال : « ومنهم ابو زُبَيْد الطائي واسمهُ حرملة بن المنذر وكان نصرانيًّا من متنصّرة العرب ، والواقع في هــذا الدين اكله اذ اغترب (كذا) ، قلّ ان طوَتْ طيء على مثلهِ بُردها ، او مدّت بمثــل

١) روى عبد القادر البغدادي في خزانة الادب (٢: ١٥٥) انّ ابا زُبيد «كان اعور آدم» ونسب هذا القول لابن سلام الجمحي فلم نجدهُ في كتابهِ طبقات الشعراء

انواء قريحتهِ وِرْدها ، تجلبب سرابيل الدماء ، وانتسب الى المنذر وهو ابن ماء السماء ، الّا انهُ لو ولد مثل المنذر لقدَّمهُ على نبيّهِ لتحقيقهِ ، او واخى النعمان لما اجراهُ الّا مجرى شقيقهِ »

﴿ ابو زبيد والاسد ﴾ وممّا اشتهر بهِ ابو زُبيد وصفهُ للأَسد قيل انهُ لقيهُ في بعض اسفارهِ بالنجف فرأى من بطشهِ ما ارعد فرائصهُ فوصفهُ وصفاً لم يأتِ بمثلهِ غيرهُ .

اخبر امين الدولة الشيزري في كتابهِ جمهرة الاسلام (Ms de Leid, ff 238r) قال : حضر ابو زُبَيْد ذات يوم عند عثمان بن عفّان وعندهُ المهاجرين (المهاجرون) والانصار فتذاكروا مآثر العرب وايّامها وسيَرها واشعارها فالتفت اليهِ عثمان فقال : يا اخا تُبَّع دين المسيح أسمعنا بعض شعرك فقد أُنبئتُ انك تجيد الشعر . فانشدهُ كلمتهُ العينيّة التي يصف فيها الاسد وهي (اطلب الحماسة البصريّة ٢ : ٢١٩—٢٢٠)

مَنْ مبلغٌ قومَنا النائين اذ شَخَصوا (١ أَنَّ الفؤَاد اليهم شَيِّقٌ وَلِعُ

تَناذروني (٢ كأَنّي في أَكُفِّهمُ حتَّى اذا ما رأوني خالياً نَزَعوا

واستَحدثَ القومُ امرًا غيرَ ما وهموا وطارَ انصارُهم (٣ شتَّى وما جمعوا

والدارُ إِمَّا نأَتْ بي عنهمُ فلَهُم ودِّي ونَصْري اذا اعداؤهم سَبَعوا

إِمَّا بحدِّ سِنانٍ او مُحافلَةً فلا قَحومٌ ولا فانٍ (٤ ولا ضَرِعُ

حمّالُ اثقالِ اهلِ الودِّ آوِنةً أُعطيهمُ الودَّ مني بَلْهَ ما سمعوا (٥

كأنّما يتفادى اهلُ أَمْرِهمُ من ذي زوائدَ في أَرْساغِهِ فَدَعُ

ضِرْغامَةٍ أَهْرَتَ الشدقَيْنِ ذي لِبَدٍ كأنهُ بُرْنسٌ في الغابِ مُدَّرَعُ (٦

١) ويروى : اذ شحطوا . واذ سخطوا ٢) ويروى : تبادروني ٣) ويروى : وكان انصارهم ٤) ويروى : وانٍ ٥) بلهَ ما سمعوا - اي على خلاف ما سمعوا . وبَله بمعنى غير . ويروى : أُعطيهم الجهدَ . ويروى : الجهدَ ٦) ويروى : اهدب الشدقين . . كأنّما برنساً

بالشيِّ (١أسفلَ من حمَّاء ليس لهُ الّا بَنيهِ والّا عِرسَهُ سَبعُ
أبنَّ عِرِّيسةً غنّاؤها أشِبُ ودون غايتها مستوردٌ شرَعُ
شأسُ الهبوط رنّاءُ الحاقنَين متى ينشغْ بَواردهُ يحدثْ لها فزَعُ
أبُو شتيمَين(٢من حصَّاءَ قد أفلَتْ كأنَّ أطباءَهُ في رُسغها رقعُ
أَعطيتها جهدها حتى اذا وِجمَتْ صدَّت وصدًا فلا غِيلٌ ولا فدَعُ
وَرْدَيْنِ قد اخذا اخلاقَ شيخهما ففيهما عزْمَةٌ (٣الظَّلْماءِ والجَشَعُ
غذاهما بلحُوم القوم مذ شدَنا (٤ فما يزال بوَصْليْ راكبٍ يضَعُ
على جَناجنهِ من ثوبهِ هبَبٌ وفيهِ من صائكٍ مستكرَهٌ دفعُ
كأنما هو في اهداب ارملةٍ مسرولٌ والى الإبطين مدَّرِعُ
أفزَّ عنهُ بني الخالات جرأتُهُ لا الصيدُ يُمنع منهُ وهو ممتنعُ
في ما اكتسبن رئيسٍ غير منفصمٍ وليس فيما يُرى من كسبهِ طمَعُ

حتى انتهى الى آخرها فقال لهُ عثمان (الاغاني ١١ : ٢٤—٢٥ وطبقات الشعر للجمحي ص ١٩٦ والمحاسن والاضداد للجاحظ ص ١١٢) : تاللهِ تذكر الاسدَ ما حييتَ والله اني لَاحسبك جبانًا هرَّابًا (ويروى: هِدانًا) . قال: كلَّا يا امير المؤمنين ولكنّي رأيتُ منهُ منظرًا وشهدتُ منهُ مشهدًا لا يبرح ذكرهُ يتجدَّد في قلبي ومعذورٌ انا يا امير المؤمنين غير ملوم . فقال عثمان : وأنّى كان ذلك . قال: «خرجتُ في صَيابة اشرافٍ من افناء قبائل العرب ذوي هيئة وشارة حسنة ترتمي بنا المَهاري بانساعها (الاغاني: باكسائها) ومعنا البغال عليها العبيد يقودون عتاق الخيل ونحن نريد الحارث ابن ابي شمَر الغساني ملك الشام فاخرَوَّطَ (غ: اخرورط) بنا السير في حمارَّة القيظ حتّى عصبَت الافواه وذبلت الشفاه وشالت(غ: وسالت) المياه وأذكت

١) الشيّ جبل بالحجاز ٢) ويروى: ابو شتيهَين . والشتيم الاسد الكريه الوجه
٣) ويروى: جرأة ٤) شدَنا قَويا

الجوزاء المعزاء وداب (غ: وذاب) الصَّيهد (١ وصَرَّ الجُندب وضاف (غ: واضاف) العصفورَ الضبُّ في وجاره (غ: في وكره . ويروى: في جواره) فقال قائلنا: يا أيها الركب غوروا بنا في ضَوْج (٢ هذا الوادي . واذا وادٍ قد بدا عيناً كثير الدَّغَل، دائم الغَلَل، شجراؤه مغنَّة، واطياره مُرِنَّة، فحططنا رِحالَنا باصول دوحات كنهبلات، وذيّات منهدلات، فأصبنا من فضَلات المزاود وأتبعناها بالماء البارد

* وإنّا لِنصف حرّ يومنا ومماطلته اذ صرَّ أقصى الخيل أذُنيه، وفحص الارضَ بيدَيه، فوالله ما لبث ان جال، ثم حمحم فبال، ثم فعل فِعلهُ الفرس الذي يليهِ واحداً فواحداً . فتضعضعت الخيل وتكعكعت الابل وتقهقرت البغال . فمن نافرٍ بشكاله، وناهضٍ بعقاله، وجائل بجلاله، فعلمنا أن قد أُتينا وانَّهُ السَّبُع . ففزع كلُّ واحدٍ الى سيفه فاستلَّهُ من جرابه ثمَّ وقفنا رَزْدقاً أَرسالًا . فاقبل ابو الحرث من اجمته، يتطالع (غ: يتظالع) في مشيته كأنَّهُ مجنوب او في هجارٍ . لصدره نحيط، ولبلاعمه غطيط، ولطَرْفه وميض، ولأرساغه نقيض، كأنهُ يخبطُ هشيماً، او يطأ صريماً، واذا هامةٌ كالمِجَنّ، وخدٌّ كالمِسَنّ . وعينان سجروان كأنهما سراجان يَقِدان وقَصَرة رَبِلة، ولهزمة (غ: ولهذمة) رهلة، وكتَد مُغبَط، وزَور مُفرَط، وساعد مجدول، وعَضُد مفتول، وكفّ شَثْنة البراثن، الى مخالب كالمحاجن، ثمَّ ضرب بيده فأرهج، وكشَر فأفرج، عن انياب كالمعاول مصقولة، غير مفلولة، وفم اشدق، كالغار الأخوق، تمطّى فاسرع (غ: فاسرع) بيديه، وحفز وركَيه برجلَيه، حتّى صار ظلُّهُ مِثلَيه، ثمَّ أقعى فاقشعرَّ، ثمَّ مثل (غ: تمثّل) فاكفهرَّ، ثم تجهَّم فازبأرَّ، فلا والذي (غ: وذو) بيتهُ في السماء ما اتقيناهُ الّا باخٍ لنا من بني فَزارة، كان ضخم الجُزارة، فوقصَهُ (٣ ثمَّ أقعصهُ فقضقض متنهُ، وبقر بطنهُ، وجعل يَلغ في دمهِ . فذمرتُ لاصحابي فهجهجنا بهِ فبعد لأيٍ ما استقدموا فكرَّ مقشعراً بزبرةٍ (غ: بزبره) كأنَّ بهِ شَيْهماً (غ: شمصاً) حوليّاً فاختلج رُجلًا أعجر ذا حوايا فنفضهُ نفضةً تزايلت مفاصلهُ وانقطعت اوداجهُ ثمَّ نهم فقرقر، ثمَّ زفر فبربر، ثمَّ زأر فجرجر، ثمَّ لحظ فوالله لخلتُ البرقَ يتطاير من تحت جفونه، من عن شماله ويمينه، فأرعشت الايدي واصطكّت الارجل وأطّت الاضلاع،

١) الصَيْهد حرارة الشمس . ويروي: الصَيْخد وهو عين الشمس ٢) ضَوج الوادي منعطفهُ . ومثله الصَّوح ٣) وقصَهُ دقَّ عنقهُ ويروى وهَصَهُ ورهَصَهُ

وارتجّت الاسماع، وحَجّت (غ : وشخصت) العيون ، ولحقت الظهور بالبطون ، والخزلت المتون ، وساءت (غ : وتحققت) الظنون »

فقال لهُ عثمان : اسكتْ قطع الله لسانك فقد أرعبتَ قلوب المسلمين . ثم حضر بعد ذلك عند معاوية بن ابي سفيان وعندهُ جماعة من اصحابهِ فقال : أيكم يصف لي الاسد ؟ فقام ابو زُبيد الطائي ثمَّ جثا بين يدي معاوية فقال : يا امير المؤمنين انا اصفهُ لك حتى كأنك تراهُ . « لهُ عينان حمراوان كوهج النيران ، كأنما نُقرتا بالمناقير في عرض الصَّفوان ، هامتهُ عظيمة . وجبهتهُ شتيمة ، كأنما ناباهُ من سنان ، وشفتاهُ من صوَّان ، لونهُ وَرْد ، وزئيرهُ رَعد ، اذا مشى تبهنس ، واذا ألِيل اعانكس وتجسَّس ، من قاسَمَهُ ظلم ، ومن قارعهُ غشم » ثمَّ انشأ (من الطويل) :

عَبُوسٌ شَمُوسٌ مُصلَخِدٌّ خنابِسٌ جريءٌ على الارواحِ للقِرْنِ قاهرُ(١)

منيعٌ ويحمي كلَّ وادٍ يرومُهُ شديدُ أُصولِ الماضغَين مُكابرُ

براثِنُهُ شَثْنٌ وعيناهُ في الدُّجى كجمرِ الغضا في وجهِهِ الشرُّ ظاهرُ

يُدِلُّ بأنيابٍ حدادٍ كأنها اذا قلَّص الاشداقَ عنها خناجرُ

فقال لهُ معاوية : نعتَّهُ نعتاً خلتهُ ان سيثب عليَّ من ورائي

ومما رواهُ ابو علي القالي في اماليهِ (٣ : ١٨٣—١٨٥) ورفعهُ الى ابي عبيدة قال : اجتمع عند يزيد بن معاوية ابو زُبيد الطائي وجميل بن مَعْمَر العذريّ والاخطل التَّغلَبيّ فقال لهم : أيكم يصف الاسد في غير شعر فقال ابو زُبيد : « لونهُ وَرْد ، وزئيرهُ رَعد (وقال مرَّة اخرى : زَغد) ، ووثبتهُ شدّ ، واخذهُ جِدّ ، وهولهُ شديد ، وشرُّهُ عَتيد ، ونابهُ حديد ، وأنفهُ أخثم ، وخدُّهُ أدرَم ، ومِشفرهُ أذلم ، وكفَّاهُ عُراضتان ، ووجنتاهُ ناتئتان ، وعيناهُ وقَّادتان ، كأنهما لمحٌ بارق ، او نجمٌ طارق ، اذا استقبلتَهُ قلت أفدَع ، واذا استعرضتَهُ قلتَ أكوَع ، واذا استدبرتَهُ قلتَ أصمع ، بصيرٌ اذا استغضى ، هَمُوسٌ اذا مشى ، اذا قفَّى كمَش ، واذا جرى طمَش ، براثنهُ شثنة ، ومفاصلهُ مترَّصة ، مُصْعِق لقلب الجبان ، مروِّع لماضي الجنان ، ان قاسَمَ ظلَم ،

١) ويروى : عبوسٌ كبوسٌ . . مكالبٌ . . على الإقدام

وان كابَرَ دَهَم، وان نالَ غشَم. ثمَّ انشأ يقول (من الرجز) :

خُبَعْثِنٌ أَشْوسُ ذو تَـهكُّمِ   مشتبكُ الانيـابِ ذو تَبَرْطُمِ
وذو اهـاويـلَ وذو تجـهُّمِ   ساطٍ على الليثِ الهِزَبْرِ الضيغمِ
وعينهُ مثلُ الشِهاب المُضرَمِ   وهـامُـهُ كالحَجَر المُـلَمْلَمِ

فقال (يزيد) : حسبُك يا ابا زُبَيد. ثمَّ قال: قُلْ يا جميل. فقـال: يا امير المؤمنين وجهُهُ فَدْغَم، وشِدْقُهُ شَدْقم، وأنفُهُ مُعرَنْزِم، مقـدَّمُهُ كثيف، ومؤخَّرُهُ لطيف، ووثْبُهُ خفيف، وأَخْذهُ عنيف، عَبْل الذراع، شديد النُّخاع، مُرْدٍ للسباع، مُصْعِق الزئير، شديد المَرير، أهرَتُ الشِدقَين، مُترَصُ الحَصيرَين، يركبُ الاهوال، ويهتصِرُ الأبطال، ويمنعُ الأَشبالِ، ما إنْ يزالُ جاثمًا في خِيس، او رابضًا على فَريس، او ذا وَلْغٍ ونَهيس. ثم قال :

ليثٌ عَرينٍ ضيغمٌ غضَنْفرُ   مُـداخَلٌ في خَلقـهِ مضبَّرُ
يُخـافُ من انيابهِ ويُذْعَرُ   ما إنْ يزال قـائمًا يُزَمْجِرُ
لهُ على كلِّ السباع مَفخَرُ   قُضاقِضٌ شَثْنُ البنانِ قَسْوَرُ

فقال: حسبُك يا ابنَ مَعمر. ثمَّ قال: قل يا اخطل. فقال: ضيغَمٌ ضِرغام، غشمشمٌ هَمْهام، على الاهوال مِقدام، ولـلأقران هطَّام، رئبالٌ عَنبس، جريٌّ دَلَهمس، ذو صدرٍ مُفَرْدس، ظَلومٌ اهوس، ليثٌ كَرَوَّس.

قُضـاقِضٌ جهمٌ شديدُ المَفْـصِلِ   مضبَّر الساعدِ ذو تَعثْـكُـلِ
شرَنْبثُ الكفَّين حامي أشبـلِ   اذا لقـاهُ بطـلٌ لم يَنكَـلِ
مُلَمْلَم الهـامةِ كَمْشُ الأَرجـلِ   ذو لُبَـدٍ يغتـالُ في تمهُّـلِ
انيـابُهُ في فيهِ مثـلُ الأَنصُلِ   وعينهُ مثلُ الشهـاب المُشعَلِ

فقال لهُ: حسبك. وامر لهم بجوائز

ومن قول ابي زُبَيد في وصف الاسد ما رواهُ الصفدي في جمهرة الاسلام (ص ٢٣٨

من نسخة ليدن) (من الطويل) :

فلا يأتينكم منصر الناب عنبس · عبوس له خلق غليظ غضنفر

له زبر كاللبد طارت رعابلا · وكتفان كالشرخين عبل مصير

رحيب مشق الشدق اغضف ضيغم · له لحظات مشرفات ومحجر

وعينان كالوقبين في قبل صخرة · يرى فيهما كالجمرتين التبصر

من الأسد عادي يكاد لصوته · رؤوس الجبال الراسيات تقعر

كأن اهتزام الرعد خالط جوفه · اذا حن فيه الخيزران المثجر

يظل مغباً عنده من فرائس · رفيت عظام او غريض مشرر

وخلقان درسان حوالي عرينه · ورفض سلاح او قنان مقتر

اقل فأقوى ذات يوم وخيبة · لاول من يلقى وغي ميسر

فابصر ركباً رائحين عشية · فقالوا أبغل مائل الجل اشقر

بل السبع فاستنجوا واين نجاؤكم · فهذا ورب الراقصات المزعفر

فولوا سراعاً ينـدهون مطيهم · وراح على آثارهم يتقمر

فساراهم ما ان لحس حسيسه · مدى الصوت لا يدنو ولا يتأخر

فلمـا رأوا ان ليس شيء يريبهم · وقد ادلجوا الليل التمام وابكروا

وقد برد الليل الطويل عليهم · ومر بهم لفح من القر اعسر

تنادوا بان حلوا قليلا وعرسوا · وحفوا الركاب حولكم وتيسروا

بعينيه لمـا عرسوا ورحالهم · ومسقطهم والصبح قد كاد يسفر

ففاجأهم يستن ثاني عطفه · له غبب كأنما بات يمكر

فنادوا جميعاً بالسلاح ميسّراً	واصبح في حافاتهم يتنمّرُ
ونَدَّت مطاياهم فمن بين عاتقٍ	ومن بين مُودٍ بالبسيطة يَعْثِرُ
وطاروا بأسيافٍ لهم وقطائفٍ	وكلُّهمُ يخفي الوعيدَ ويزجرُ
فاوّل من لاقى يجول بسيفهِ	عظيم الحوايا قد شَتا وهو اعجرُ
فقَضْقَضَ بالنابَين قُلَّة رأسهِ	ودقَّ صليفَ العُنقِ والعنقُ أصعرُ
ووافى بهِ من كان يرجو ايابَهُ	فصادفَ منهُ بعضَ ما كان يحذرُ

ومن وصفهِ للاسد ما روي في بعض المجاميع المخطوطة (من الرجز) :

كالليث عندهُ الليوثُ الضَّيْغمِ	يُرْضعنَ اشبالًا ولماً تُفْطَمِ
فهو يحامي غيرهُ ويحتمي	عَبْلِ الذراعَيْن كريهِ الشَّدْقَمِ
ليثِ الليوثِ في الصدام مِصْدَمِ	وكَهْمَسِ الليل مِصَكٍّ هَيْصَمِ
ذي جبهةٍ غرَّا .وأنفٍ أخثمِ	يُكنى من الناس ابا مُحطِّمِ
قَسْورةٍ عَبْسٍ صفيٍّ الشجعمِ	صمّ صِماتٍ مُصَلخِدٍّ صِلْدِمِ
أغْضَفَ رئبالٍ خِدَبٍّ فَدْعمِ	منتشرِ العَرْفِ هضيمٍ هَيضَمِ
من هيبة المنونِ لم يُجَمْجِمِ	رهبةٍ مرهوبِ اللقاء ضيغمِ
اذا تناجي النفسُ قالت صَمّمِ	غمغمةٌ في جَوْفِها المغمّمِ
مُجَرْمِزٍ شأنَ ضرارٍ شيظمِ	عند العراك كالفَنيقِ المُعلَمِ
يَفدي الكميّ بالسلاح المُعْلَمِ	منهُ بأنيابٍ ولماً تُقْضَمِ
ترى من الفَرْسِ بهِ نَضْحَ الدمِ	بالنَّحْر والشِدْقَيْن لونَ العَنْدمِ

أَغلبُ كم رضَّ انوف الرُّغُمِ اذا الاسود أحجمت لم يحجِمِ

ومَّا يروى لابي زُبيد ايضاً في وصف الاسد قولهُ (طويل):

يظَلُّ مُغِبَّاً عنـدهُ من فرائسٍ رُفاتُ عظامٍ اوغريضٍ مُشَرْشَرِ (١

ومن وصفهِ للاسد ما رواهُ ابن السكّيت في تهذيب الالفاظ (ص ٢٨٣) (من البسيط):

اذا تَبَهْنس يمشي خِلْتَـهُ وَعِثـاً وَعَتْ سواعدُ منهُ بعد تكسيرِ (٢

وقال ايضاً فيهِ (من الوافر):

فلمَّا ان رآهم قـد توافَوْا أتاهم وسط أَرْحُلهم يميسُ (٣

وفي اللسان (في مادّة حمر) لهُ في وصف الاسد ايضاً (من الطويل):

اذا عَلِقَتْ قرناً خطاطِفُ كفّهِ رأى الموت رأيَ العينِ اسودَ أحمرا

ومَّا أخبر ابن الاعرابي (الاغـاني ١١ : ٢٦) انهُ كان لابي زُبَيد كلبٌ يقال لهُ أكدر وكان لهُ سلاح يُلبسهُ أيّاهُ فكان لايقوم لهُ الاسد . فخرج ليلةً قبل ان يُلبِسَهُ سلاحهُ فلقيهُ الاسد فقتلهُ ويقال اخذ سلاحَهُ فافلت منهُ فقـال عند ذلك ابو زُبَيْد (من البسيط):

أحـالَ أكْـدرُ مشياً لا لعادتهِ حتّى اذا كان بين البئر والعَـطَنِ

لاقى لدى ثَلَلِ الأَطْواء داهيـةً أَسْرَتْ وأكدرُ تحت الليلِ في قَرَنِ

حطَّت بهِ شيمـةٌ وَرْهاءُ تطردُهُ حتى تناهى الى الجَوْلانِ في السَّنَنِ

---

١) الغريض الطريّ من اللحم. والمُشَرشر المقطّع المشقّق

٢) يصف الاسد. تبهنس اي تبختر كانهُ يمشي وعثاً اي في رملٍ تسوخُ بهِ الاقدام. ووَعَتْ سواعدُ منهُ اي جُبِرت بعد كَسْرٍ

٣) اي لمَّا رأى الأسد قوماً مسافرين دخل في وسطهم وهو يتبختر

الى مُقابل خَطْوِ الساعدَيْنِ لـهُ ... فوق السَّراة كذِفْرى الفالج الثَّمِنِ

رئبالُ غابٍ فلا قَحْمٌ ولا ضَرِعٌ ... كالبَغْل يحتطمُ العجلَيْن في شَطَنِ

وهي قصيدةٌ طويلة . (قال) فلامَهُ قومُهُ على كثرة وصفهِ للاسد وقالوا لهُ : قد خِفنا ان تسبَّنا العرب بوصفك لهُ . قال: لو رأيتم ما لقيَ اكدرُ لما لُمتموني . ثمَّ أَمسك عن وصفهِ فلم يصفهُ بعد ذلك بشعرهِ حتَّى مات

فهذه الاوصاف ادلُّ دليل على ما قيل عن ابي زُبَيْد انَّهُ امتاز بوصف الأُسود

﴿ابو زُبَيد والوليد بن عُقبة وموتهما﴾ قال ابو الفرج (الاغاني ٤ : ١٨٦—١٨٧) : الوليـد هو ابن ابي مُعيط واخو عثمان الخليفة من امّهِ واُمّهما اروى بنت كريز بنت عبد المطلب . والوليد هذا من فتيان قريش وشعرائهم وشجعانهم واجوادهم وكان عثمان جعلهُ واليـاً على الكوفة فكان لم يزل مدمناً على شرب الخمر فجَلَدَهُ الحدَّ على شربهِ (الاغاني ١١ : ٢٨) . وكان ابو زُبَيد الطـائي ينادم الوليد في ايَّام ولايتهِ ثمَّ عُزل الوليد وعـدل عن امور الدولة وصار الى الرَّقة واعتزل عليّاً ومعاوية فلحق اليهِ ابو زُبَيد فكان ينادمُهُ وكان يُحمَل في كلّ احدٍ الى البيعة مع النصارى فبينا هو يوم احد يشرب والنصارى حولهُ رفع نظرهُ الى السماء فنظر ثمَّ رمى بالكأس من يدهِ وقال (حماسة البحتري ص ١٠٧ وكتاب المعمَّرين ٩٨) (من الطويل) :

اذا أَصْبحَ المرءُ الذي كان حازماً ... يُحَـلُّ بهِ حَلَّ الحُوارِ ويُحْمَلُ (١

فليس لـهُ في العيش خيرٌ يُريدهُ ... وتـكفينُـهُ مَيْتاً أَعفُّ وأَجمـلُ

أَتاني رسول الموتِ يا مرحباً بـهِ ... ويا حَبَّذا هو مُرسَلًا حين يُرْسَلُ (٢

قال الجمحيّ : ثمَّ مات فجاءَهُ اصحابهُ فوجدوهُ ميتاً فدُفن هناك على نهر البليخ . فلمَّا حضرت الوليد بن عقبة الوفاة اوصى ان يُدفن الى جنب ابي زبيد . جـاء في

١) ويروى : اذا جُعل . . . حلُّ الجواري ويُرحل . ويروى : حلّ الجوار .
٢) ويروى : لآتيهُ وسوفَ وللهِ افعلُ

كتاب ادب النديم لكشاجم (Ms de Paris, Suppl. ar. 1347, p .65) « انّ الوليد بن عقبة لم يزل ينادم ابا زُبَيد الطائي واليًا ومعزولًا على وتيرةٍ واحـدة من الانصاف لم ينتقل عنها ويجلّهُ ويعظّمهُ ولا يقدّم عليهِ احدًا حتّى هلك ابو زبيد فوَجد عليهِ الوليد وَجْدًا شديدًا ثمّ اعتلّ ومات فيقال انهُ دُفن الى جانبهِ . ومرّ بقبريهمـا اشجع بن عمرو السُّلَمي ومعهُ صديقان لهُ يقال لهما حمزة وسعيد فوقف بهما ثمّ قال :

مررتُ على عظام ابي زُبَيْدٍ   رهينًا تحت مُوحشةٍ صَلُودِ

نـديمٌ للوليد ثوى فاضحى   مُجـاورَ قبرُهُ قبرَ الوليدِ

وما ادري بمن تبدو المنـايا   بأشجعَ او بحمزةَ او سعيدِ

فقال انهم ماتوا على هذا النسق اوّلًا فاوّلًا . (قلنا) هذا مـا ورد عن وفاة ابي زُبَيد انهُ سبق الوليد بموتهِ . وجاء في الاغاني في محلّ آخر (١١ : ٢٨) : « وقيل ان أَبا زُبَيد مات بعد الوليد فأوصى ان يُدفن الى جنب الوليد »

وقد مدح ابو زبيد الوليد لإحسانهِ اليهِ . اخبر في الاغاني (٤ : ١٨٣) قال : كان ابو زبيد استودع بني كنانة بن تيم التغلبيين ابلًا فلم يردّوها عليهِ حين طلبها فـلاذ بالوليد وكان عُمَر ولّاهُ صدقات بني تغلب فاخـذ لهُ بحقهِ فقال ابو زُبيد يمدحهُ (من البسيط) :

يا ليت شعري بـأَنبـاءٍ أُنبّـأُها   قد كان يَعيا بها صدري وتقديري

عن امرئٍ ما يَزِدهُ اللهُ من شرفٍ   أَفرَحْ بهِ ومُرَيٌّ غيرُ مسرورِ (١

وفيها يقول :

انّ الوليد لـهُ عندي وحقّ لـهُ   ودُّ الخليلِ ونُصحٌ غيرُ مذخورِ

لقـد رعـاني وأَدناني وأَظهرَني   على الاعادي بنصرٍ غيرِ تقديرِ

---

١) اراد مُرَيّ بن اوس بن حارثة بن لأم

فشَذّب القومَ عنّي غيرَ مكترثٍ حتّى تناءوا على رغمٍ وتصغيرِ

نفسي نداء ابي وهبٍ وقلَّ لهُ يا امَّ عمرٍو(١ فخلّي اليومَ او سِيري

ثمَّ روى عن ابن الاعرابيّ ما يلي قال : كان الوليد بن عُقبة قد استعمل الربيع ابن مُرَيّ بن اوس بن حارثة بن لأم الطائي على الحِمى فيما بين الجزيرة وأظهر الحيرة فأجدبت الجزيرة وكان ابو زبيد في تغلب فخرج بهم ليرعيهم فأبى عليه الأوسي وقال : ان شئتَ ارعيك وحدك فعلتُ والّا فلا . فأتى ابو زُبيد الوليدَ بن عُقبة فأعطاهُ ما بين القصور الحُمْر من الشام الى القصور الحمر من الحيرة وجعل لهُ حمًى واخذها من الآخر فقال ابو زُبَيد يمدح الوليد (من الوافر) :

لَعَمْرُ ابيكَ يا ابنَ ابي مُرَيّ لِغيركَ مَن أَباح لها الديارا

أَباح لها أَبارقَ ذات نورٍ تُرَعّي القُفَّ منها والقفارا

بحمد الله ثمَّ فتى قُرَيْشٍ ابي وَهْبٍ غدت بطناً غزارا

أَباح لها ولا يحمي عليها اذا ما كنتمُ سنةً جِزارا(٢

فتًى طالت يداهُ الى المعالي وطَحْطحنَ المقطَّعةَ القصارا

فلمّا عُزل الوليد ووليها سعيد (والصواب سعد بن ابي وقاص) انتزعها منهُ واخرجها من يدهِ فقال (خزانة الادب ٣ : ٢٨٢) (من الخفيف) :

ولقد مُتُّ غير أَنّيَ حيٌّ يومَ باءت بودّها خنساءُ

من بني عامرٍ لها شِقُّ قلبي(٣ قسمةٌ مثلُ ما يُشَقُّ الرداءُ

الى ان قال :

فانتهَوا انَّ للشدائد اهلًا وذَرُوا ما تُزَيِّنُ الأَهواءُ

---

١) وفي رواية ابن حبيب : يا امُّ زيد اعني يا ام ابي زيد

٢) يريد جزَرًا من اجدب والشدّة ٣) ويروى : شقُّ نفسي

ليت شعري وايَنَ منّيَ لَيْتُ ان ليتاً وانّ لوًّا عَناء (١

ايُّ ساعٍ سعى ليقطع شِرْبي حين لاحت للصابحِ الجوزاء (٢

واستظلَّ العصفورُ كرهاً مع الضبّ واوفى في عُودهِ الحرباء (٣

ونفى الجُنْدُبُ الحصا بكراعَيْـهِ وأذكت نيرانَها المعزاء (٤

من سَمُومٍ كأنّها حَرُّ نارٍ سفعَتْها ظُهَيْرةٌ غرّاء (٥

واذا اهلُ بلدةٍ (٦ أنكروني عرفَتْني الدَوِّيّةُ الملساء

عرفتْ ناقتي الشمائلَ منّي فهي الّا بُغامَها خرساء

عرفت ليلَها الطويلَ وليلي انّ ذا النومَ للعيونِ غِطاء (٧

وممّا رُوي لهُ في مدح الوليد قولهُ يتشوّق اليهِ لمّا خرج من الكوفة (من الطويل) .

لعمري لئنْ أمسى الوليدُ ببلدةٍ سواي لقد امسيتُ للدهر مُعْوِرا

خلا انّ رزقَ اللهِ غادٍ ورائحٌ واني لـهُ راجٍ وان سرتُ اشهُرا

اذا صادفوا دوني الوليدَ كأنّما يرون بوادي ذي حَماسٍ مُزعفَرا

ثمّ قال :

تناذَرَهُ السُفّارُ فاجتنبوا لهُ منازلهُ عن ذي حَماسٍ وعَرْعرا (٨

---

١) اراد الشاعر بلَيْت ولوّ لفظَيها فاقامهما مقام الاسماء وصرفهما ٢) الشِرْب بالكسر النصيب من الماء . والصابح الذي يسقي الابل في اوّل النهار

٣) ويروى : واستكنّ . قال الجاحظ في كتاب الحيوان : اذا وصف العرب شدّة الحرّ وصفوا كيف توفي الحرباء على العود الجَزْل وكيف تلجأ العصافير الى حُجُرات الضِباب من شدّة الحرّ . ٤) ويروى : المغراء ٥) وروى الجاحظ : نفخ نارٍ سعرتها الهجيرة العمّاء . ويروى : شفعتها ٦) ويروى : واذا الدارُ اهلها

٧) ويروى : ذا الليل للعيونِ غِشاء ٨) ويروى : اذا ما رأوا . وحَماس ارض بالعالية وعرعر وادٍ هناك (مبكري ٥٤٣)

خضيبُ بَنانٍ ما يزال براكبٍ   يخُبُّ وصاحي جلدهِ قد تقشَّرا

ومن اخبارهِ مع اخوالهِ بني تغلب ما رواهُ ابن الاعرابي (الاغاني ١١ : ٢٧) قال : كان اخوال ابي زُبَيد بني تغلب وكان يقيمُ فيهم اكثر ايَّامهِ وكان لهُ غلام يَرعى إبله فغزت بهراءُ بني تغلب فمرُّوا بغلامهِ فدفع اليهم ابل ابي زُبيد وقال : انطلقوا وادلّكم على عورة القوم واُقاتل معكم . ففعلوا والتقوا فهُزمت بهراءُ وقُتل الغلام . فقال ابو زُبيد وفي هذه الابيات غناء لابن محرز (من المنسرح) :

هل كنتَ في مَنظرٍ ومستمَعٍ   عن نَصْر بَهْراءَ غيرَ ذي فَرَس

تسعى الى فِتْيةِ الأَراقم واْستعجلْتَ قبلَ الجُمانِ والقبَسِ

في عارضٍ من جبال بهرائها م الأُولى مَرينِ الحَرورِ عن دَرَسِ

فَبهرةٌ مَن لَقُوا حسبتَهمُ   احلى واشهى من باردِ الدبِس

لا تِرَةٌ عندهُم فتطلُبها   ولا همُ نُهزةٌ لمختلس

جُودٌ كرامٌ اذا همُ نُدبوا   غيرُ لئامٍ ضُجْرٍ ولا كُسُس

صُمْتٌ عظامُ الحلوم ان قَعدوا   من غير عيٍّ بهمْ ولا خَرَسِ

تقودُ افراسَهم نساؤهمُ   يُزْجُون أَجمالَهم مع الغَلَس

صادفتَ لمَّا خرجتَ منطلقاً   جَهْمَ المحيَّا كباسلٍ شرِسِ

تخالُ في كفّهِ مُثقَّفةً   تلمعُ فيها كشُعلة القبَسِ

بكفّ حرَّانَ ثائرٌ بدمٍ   طَّلابُ وِترٍ في الموت مُنغمِسِ

إمَّا تقارنْ (١ بك الارواح فلا   ابكيكَ الَّا للدَّلو والمرَسِ

حَمِدتُ امري ولمتُ امرَكَ اذ   أَمسك جَلْزُ السنانِ للنفَسِ

---

١) ويروى : تقارش

وقد تصلّيتَ حرَّ نارهمُ كما تصلّى المقرورُ من قَرَسِ
تذُبُّ عنهُ كفٌّ بها رَمَقٌ طيرًا عُكوفاً كزُوَّرِ العُرُسِ
عمّاً قليلٍ علونَ جثّتهُ (١ فهنّ من والغٍ ومُنتهِسِ

فلمّا فرغ ابو زُبيد من قصيدتهِ بعثت اليهِ بنو تغلب بديةِ غلامهِ وما ذهب من ابلهِ فقال في ذلك (من الطويل) :

أَلا أَبلغْ بني نصر بن عمروٍ (٢ بأنّي في مودَّتكمْ نفيسُ

وفيها يقول :

فما انا بالضعيف فتظلموني ولا جافي اللِقاء ولا خسيسُ
اخي حقٍّ مؤاساتي اخاكم بمالي ثمَّ يظلمني السَّريسُ (٣

ومما يُذكر من اخبار ابي زُبَيْد (الاغاني ١١ :٢٧) ما روى حمّاد عن ابيهِ قال : كان لابي زُبيد نديمٌ يشربُ معهُ بالكوفة فغاب ابو زبيد غيبةً ثمَّ رجع فأخبروهُ بوفاتهِ فعدل الى قبرهِ قبل دخولهِ منزلهُ فوقف عليهِ ثمَّ قال (من السريع) :

يا هاجري اذ جئتُ زائرَهُ ما كان من عادتك الهَجْرُ
يا صاحبَ القبر السلامُ على مَن حال دونَ لقائهِ القبرُ

ثمَّ انصرف وكان بعد ذلك يجيءُ الى قبرهِ يشربُ عندهُ ويصبُّ الشراب على قبرهِ

﴿شعر ابي زُبيد﴾ لابي زُبَيْد شعر كثير متفرّق ولا نعرف لهُ ديواناً مستقلاً . وهو ممَّن يرجع اهل اللغة الى كلامهِ لفصاحة اقوالهِ وقد جعلهُ ابن سلّام (ص ١٩٦)

---

١) ويروى : يصبّحن مهجتهُ ٢) وروى ابن سلّام : بني عمروٍ رسولاً ٣) السريس الضعيف الذي لا ولد لهُ

في الطبقة الخامسة من الشعراء الاسلاميين. وقد اختار البحتري في حماسته كثيرًا من ابياتهِ وفيها الحكم والاقوال البليغة فمن ذلك قولهُ في صحَّة المودَّة وحفظ الاخاء من قصيدةٍ رواها الزبيدي (في الاغاني ٤ : ١٨٢) (من الخفيف):

مَنْ يرى العيرَ لابن أَروى على ظهـــرِ المَرَوْرَى حُداتهنَّ عِجالُ (١
مُصعِداتٍ والبيت بيتُ ابي الوَهْـــب خَلاءٌ تحنُّ فيهِ الشَمالُ
يعرفُ الجاهلُ المُضَلَّل ان الد م هر فيهِ النَّكْراءُ والزَلْزالُ
ليت شعري كذاكُمُ العهدُ ام كا نُوا أُناساً كمن يزولُ فزالوا
بعـد مـا تعلمين يا امَّ زُبَيْدٍ كان فيهم عزٌّ لنـا وجمـالُ
ووجوهٌ بودّنا مشرقـاتٌ ونَوالٌ اذا أُريـد النوالُ
اصبحَ البيتُ قد تبدَّل بالحَــــيِ وجوهاً كأنها الأَقتالُ (٢
كلُّ شيءٍ يحتالُ فيـهِ الرجالُ غير أنْ ليس للمنـايا احتيالُ
ولَعَمرُ الإلـه لو كان للِسـيف مِصالٌ او للسنان مقـالُ (٣
ما تناسيتُكَ الصفـاءَ ولا الودّ م ولا حـالَ دونكَ الاشغـالُ
ولَحَرَّمتُ لحمَـك المُتعضَّى ضَلَّةً ضَـلَّ بالُهم ما اغْتالوا (٤
قولُهم شُرْبُك الحرامُ وقد كا ن شرابٌ سوى الحرامِ حَلالُ
وأَبى الظاهرُ العـداوةِ الّا شَنَآناً وقولَ ما لا يُقالُ
من رجالٍ تقارَضوا مُنْكَراتٍ لينالوا الذي ارادوا فنالوا
غيرَ ما طالبين ذَحْلًا ولكن مالَ دهرٌ على اناسٍ فمالوا

١) المرورى جمع مَرَوْراة وهي الصحراء ٢) ويروى : الاقيال
٣) ويروى في الاغاني : للسان مقالُ ٤) ويروى : المتقصَّى . . . ضَلَّ حِلمُهم

مَنْ يَخُنْكَ الصفاءَ او يتبدَّلْ او يَزُلْ مثلما تزول الظِلالُ (١

فاعلمَنْ أنني اخوكَ اخو الو مِّ دِّ حياتي حتى تزولَ الجبالُ (٢

ليس بُخْلًا عليك عندي بمالٍ ابدًا ما أَقلَّ نعلًا قِبالُ (٣

ولك (٤ النصرُ باللسان وبالكفِّ اذا كان لليدين مَصالُ

وقال في الرجل ذي النميمة الذي يُسخط قومهُ (من الطويل):

ومن شرّ اخلاق الرجال نميمةٌ متى ما تَبِعْ يوماً بها العِرضَ يَنْفَقِ

وان امرءًا لا يتّقي سُخط قومهِ ولا يحفظُ القُربى لَغيرُ موفَّقِ

أَبيتُ الذي يأتي الدنيّ شبيبتي الى ان علا وخطٌ من الشَّيبِ مَفرَقي

وقال في من يحرم خيرَهُ الاقارب ويولي الاجانب (من الطويل):

وانتَ امرؤٌ منَّا خُلقتَ لغيرنا حياتُك لا تُرجى وموتك فاجعُ

ومن شعرهِ قولهُ يردّ على بني شيبان وكانوا افتخروا بقتل رجلٍ من طيئ يُدعى المُكَّاء كان نزل ضيفاً برجل من بني الحرث بن ذهل بن شيبان فاضافهُ وسقاهُ فلمّا سكر جعل يفاخر بني شيبان فوثب عليهِ الشيباني فقتلهُ وخرج هارباً فقال ابو زُبيد يهجو بني شيبان (خفيف):

خبَّرَتْنا الرُكبانُ أَن قد فَرِحتم وفخَرتُمْ بضربةِ المُكَّاء

ولعمري لَعَارُهـا كان أَدْنى لكمُ من تُقًى وحُسن وفاء

ظلَّ ضيفاً اخوكم لأَخينا في صَبوحٍ ونِعمةٍ وشِواء

لم يَهَبْ حُرْمةَ النديم وحقَّت يا لَقومي للسوءَةِ السَّوْءاء

١) ويروى : يزولُ ٢) ويروى : فاعلماً . . اخو العهد ٣) ويروى : ليس بُخل عليك مني . . اقلَّ سيفاً حمالُ ٤) ويروى : فلكَ

فأُصدقوني وقد خبرتم وقد ثا بت اليكم جوائبُ الأَنباء (١

هل عَلِمْتم من معشر سافهونا ثمّ عاشوا صفحاً ذوي غُلَواء

كم ازالت رماحُنا من قَتيلٍ قاتَلونا بنَكبةٍ وشَقاء

بعثوا حَرْبنا اليهم (٢ وكانوا في مقامٍ لو أَبصروا ورَخاء

ثمّ لمّا تشذَّرت وأَنافت وتصلَّوا منها كريهَ الصِّلاء (٣

طلبوا صُلْحَنا ولاتَ أَوانٌ فأَجبْنا ان ليس حينَ بقاء

ولعمري لقد لَقوا اهلَ بأسٍ يصدقون الطِعان عند اللقاء

ولقد قاتلوا فما جبُنَ القو مُ عن الأُمّهاتِ والأَبناء

الى ان قال :

فاصدقوني أَسُوقةٌ ام ملوكٌ انتمُ والملوك اهلُ عَلاء

أَبَدِيءٌ (٤ أَن تَقْتلوا اذ قَتلتم ام لكم بسطةٌ على الأَكفاء

ام طمعتم بأَن تُريقوا دِمانا ثمّ انتم بنَجوةٍ في السَّماء

فلحا الله طالِبَ الصلح منّا ما اطاف المُبِسُّ بالدهناء(٥

انّنا معشرٌ شمائلُنا الصَّبْـرُ ودفعُ الأَسى بحسنِ العَزاء

ولنا فوق كلِّ مجدٍ لِوَاءٌ فاضلٌ في التمام كلَّ لواء

فاذا ما استطعتمُ فاقتلونا مَن يُصِبْ يرتَهِنْ بغير فداء

١) الجوائب جمع جائبة وهي الخبر يجوب الارض وينتشر بها ٢) ويروى: عليهم

٣) تشذَّر تهيَّأ للقتال . وتصلوا من صلي بالنار اذا وجد حرَّها . والصلاء حرُّ النار

٤) أَبدِيءٌ الهمزة للاستفهام وبَدِيء كبديع وزناً ومعنًى اي هل يُجمُل بكم.

٥) الدهناء موضع في بلاد بني تميم . والمُبِسّ حادي الابل الذي يُبِسُّ بها اي يزجرها

ولهُ يهجو ضُبَيْعة (جمهرة الاسلام ص ٢٩٥) (من الوافر) :

تُنازعني ضُبَيْعةُ أَمرَ قومي وما كانت ضُبَيعةُ للامور

وهل كانت ضبيعةُ غيرَ عبدٍ ضممناهُ الى نسَبٍ شطيرِ

واوصاني ابي فحفظتُ عنهُ بفكّ الغلّ عن عُنُقِ الأَسيرِ

واوصى جحدرٌ فوقا بنيهِ بإرسال القُراد على البَعيرِ

ومن حكمهِ ما رواهُ لهُ البحتري في حماسته (من الطويل) :

عليك برأسِ الامر قبل انتشابهِ وشرُّ الامور الأَعْسَرُ المُتَدبِّرُ

وفي حماسة الخالديين (نسختنا الخطّيَّة ٩٧^r^) وفي الحماسة البصريَّة (١ : ١٥٤من نسختنا) (من الطويل) :

سأقطعُ ما بيني وبينَ ابن عامرٍ قطيعةَ وصلٍ لست اقطعُ جافيا

فمن يتبع النُّعمى بنعمى تربُّها ولا يتبعُ الاخوان بالذمّ زاريا

اذا كان شكري دون فيضِ بَنانهِ وطاولَني جودًا فكيف احتياليا

وروى لهُ في اللسان (٦ : ١٠) يمدح الوليد بن عثمان قال ويروى ايضاً للحزين الكناني (من الكامل) :

فإلى الوليد اليومَ حنَّت ناقتي تهوي لِمُغْبَرّ المتون سَمالِقِ (١

حنَّت الى بَرْقٍ فقلتُ لها قُري بعضَ الحنينِ فانَّ سَجْرَكِ شائقي (٢

١) والسَّمالِق جمع سَمْلَق الارض التي لا نبات لها ٢) وفي التاج (٣ : ٢٥٦) : الى برْك . وقُري من وَقَرَ اي اسكني واهدأي . ونصَب « بعض الحنين » على معنى كُفّي عن بعض الحنين فانَّ حنينك الى وطنك شائقي لأنهُ يذكرني اهلي ووطني يقال سَجَرت الناقة اذا مدَّت حنينها

كم عنـدهُ من نائـلٍ وسماحةٍ　　وشمائلٍ ميمونـةٍ وخـلائقِ

ومما رواهُ ابن عبد ربّهِ (العقد ٣ : ١٣٣) لابي زُبَيد قولـهُ يهجو مَن منعهُ صلتهُ (من المنسرح) :

ان كان رِزقي اليك فأرم بِهِ　　في ناظرَي حَيّةٍ على رَصـدِ

ليتَـكَ ادَّبتَني بواحـدةٍ　　تجعلُها منك آخرَ الأَبـدِ

تَحْلِفُ أَن لا تَبُرَّني ابـدًا　　فانَّ فيها بَرْدًا على كَبِدي

وروى لهُ ابو عليّ القالي (١ : ٢٩) من قصيدة في رثاء الخليفة عثمان يصف المساحي وهي المجارف التي حفروا بها قبرهُ (من البسيط) :

لها صَواهِلُ في صُمّ السِّلامِ كما　　صاحَ القَسيّاتُ في ايدي المَصاريفِ

كأنهنّ بأَيـدي القومِ في كَبَدٍ　　طيرٌ تُكشّفُ عن جُونٍ مزاحيفِ (١

ولمّا قُتل الخليفة عليّ بن ابي طالب قال ابو زبيد يرثيه (من البسيط) (الكامل للمبرّد ص ٥٥٣) :

انَّ الكرامَ على ما كان من خُلُقٍ　　رهطُ امرئٍ خارَهُ للدين مُختارُ (٢

طَبٌّ بَصيرٌ بأضغـانِ الرجال ولم　　يُعدَل بحَبْرِ رسولِ اللهِ أَحبارُ (٣

١) قال القالي : وصفَ مساحيَ . والسِلام الحجارة والصياريف الصَّيارفة ثمَّ شبَّه المساحي في ايدي الحفّارين الذين يحفرون قبر عثمان رضَ بطير تطير عن إبل جُون اي سُود . والمزاحيف المُعيية . وانمَّا جعلها جُونًا لأنهم حفروا في حَرَّةٍ فشبَّهَ الحَرَّة بالإبل السود . وهـذه رواية التـاج :

كأنَّ اوبَ مساحي القوم فوقهمُ　　طيرٌ تعيفُ على جُون مزاحيفِ

٢) قال المبرّد : خارَهُ انمَّا هو اختارَهُ　　٣) اضغان الرجال أسرارُها ومخبّآتها . ويروى : باضعاف . ويروى : باخوان . والحَبْر العالِمُ

وقَطْرةٌ قَطَرَت اذ حان مَوْعِدُها   وكلُّ شيءٍ لـهُ وقتٌ ومقـدارُ

حتَّى تنصَّلَهـا في مَسْجـدٍ طُهُرٍ   على إمامٍ هُدًى إن معشرٌ جاروا (١

حُمَّت ليـدخلَ جنَّاتٍ ابو حسَنٍ   وأُوجِبَتْ بعدَهُ للقاتلِ النارُ (٢

ومن مختار شعر ابي زُبيد الطائيّ داليَّتهُ التي قالها في اللَّجلاج . امَّا اللَّجلاج المذكور فقيل انهُ اللجلاج بن اوس من انسباء ابي زُبيد وقيل انهُ اخوهُ (المقاصـد النحويَّة للعيني ٤ : ٢٢٢) وقيل بل هو ابن اختهِ اللجلاجُ الحارثي وهو طفيل بن يزيد بن عبد يغوث (خزانة الادب لعبد القادر البغدادي ٢ : ٦٥٥) . وهذه القصيدة انتخبهـا ابو زيد القرشي في جمهرة اشعار العرب فنظمها في بعض النسخ في جملة المذهَّبات وفي غيرها في جملة المراثي . وقد كنَّا نسخناها على نسخ خطيَّة في مكاتب اوربَّة ومصر وذكرنا رواياتها وبعض شروحها فنثبتها هنا كما وجدناها (من الخفيف) :

انَّ طولَ الحيـاة غـيرُ سعودٍ   وضَلالٌ تـأميلُ طولِ الخلودِ (٣

عِلَـلُ المرءِ بالرجـاءِ ويُضحِي   غرَضاً للمَنون نَصْبَ العـودِ (٤

كلَّ يوم ترميـهِ منهـا سهـامٌ   فمُصيبٌ او صَافَ غيرَ بعيدِ (٥

من حميمٍ ينسي الحياة جليدِ م القوم حتى تراهُ كالمبلودِ (٦

كلُّ ميتٍ قد اغتفَرْتُ فـلا أجْـزَعُ من والـدٍ ولا مولودِ

غير انَّ اللَّجْلاج (٧ هدَّ جَنـاحِي   يوم فـارقتُـهُ بـأعلى الصعيـدِ

---

١) تنصَّلها يريد استخرجها ٢) حُمَّت اي قُدّرت ٣) ويروى : نيل الخلود ٤) ويروى : عرَضاً وفي العيني : نصب العمود : اي ان المرء كالعود المنصوب للرمي ٥) يقال صاف السهمُ اذا عدل عن الهدف . وروى القالي في اماليه (٢ : ٣٥) : يرميه منها بِرَشْقٍ . . . او ضافَ . وضاف السهمُ كصافَ ٦) ويروى : ينسي الحياة جليدٍ ٧) ويروى : الجُلاح .

صادياً يَستغيثُ غيرَ مُغاثٍ   ولقد كان عُصْرةَ المنجودِ (١

رُبَّ مُستَلحِمٍ عليهِ ظِلالُ الـ   ـموتِ لَهفانَ جاهدٍ مَجهودِ (٢

خارجٍ نَاجِذاهُ قد بَرَدَ المو   تُ على مُصطَلاهُ ايَّ بُرودِ (٣

غاب عنهُ الأَدنى وقد وردتْ سُمْرُ   العوالي اليهِ ايَّ ورودِ

فدعا دَعوةَ المُخَنَّقِ والتَّلْـ   ـبيبُ منهُ في عاملٍ مقصودِ (٤

ثمَّ أنقذتَهُ وفرَّجتَ عنهُ   بغَموسٍ او ضربةٍ أُخْدودِ (٥

بحُسامٍ او زَرَّةٍ من نَحيضٍ   ذاتِ رَيْبٍ على الشُّجاعِ النجيدِ (٦

يَشتكيها بقَدْكَ اذ باشرَ المو   تَ جديدًا والموتُ شرٌّ جديدِ (٧

فلوتْ خيلُهُ عليهِ وهابوا   لَيْثَ غابٍ مقنَّعاً في الحديدِ

غيرَ ما ناكلٍ يسيرُ رويدًا   سَيْرَ لا مُرهَقٍ ولا مهدودِ (٨

ساحياً للجام يقصرُ عنهُ   عَرِكاً في المَضيق غيرَ شَرودِ (٩

---

١) عُصْرة المنجود اي ملجأ المنكوب . وروى العيني : نُصرة النجود وهو تصحيف

٢) المستلحم الناشب في ملحمة القتال   ٣) ويروى : خارجاً . وروى في اللسان (٤ : ٥٢) : بارزٌ . قال ابو الهَيثم : بَرَدَ الموتُ على مُصْطلاهُ اي ثَبَت عليه . ومصطلاهُ يداهُ ورجلاهُ ووجههُ وكلّ ما برز منهُ فبَرَد عند موتهِ وصار حرُّ الروح منهُ بارداً . والناجذان السِنَّان اللتان تليان النابين

٤) المخنَّق المغتاظ . والتلبيب النحر والطوق . والعامل أعلى الرمح . والمقصود المكسور

٥) ويروى : ونفَّستَ عنهُ . اي انقذت المستغيث بك . والطعنة الغموس الواسعة . والاخدود التي تنفذ في مَنْ طُعن بها

٦) ويروى : من حُسام او ضربةٍ . والزرَّة الطعنة . والنحيض السنان المُرهَف . وذات ريب اي يرتاب من شرّها الشجاع . ويروى : ذات رَيث . والنجيد الشجاع

٧) اي يقول لضاربهِ : قَدْكَ اي حسبُكَ هذه الضربة وكفتني هذه الطعنة

٨) الناكل المتقهقر . والمُرهَق المعنَّى المكروب . ويروى : مَهْرودِ

٩) ويروى : ساحباً بالباء . ويروى : شاحياً باللجام

في ضريحٍ عليهِ عِبءٌ ثقيلٌ (١ من تُرابٍ وجَنْدلٍ منضودِ

عن يمينِ الطريقِ عند صَدى حرّ م انَ يدعو بالويل غيرَ معودِ (٢

مستعدًّا لِمثلها ان دنَوا منـــهُ وفي صدرِ نَهْرهِ كالصَّديدِ (٣

نظَرَ الليثَ همُّهُ في فريسٍ أقصَدَتْهُ يدا مجيدٍ مُفيدِ

سانَدوهُ حتَّى اذا لم يروهُ شدَّ اجلادَهُ على التسنيدِ (٤

يئسوا ثمَّ غادروهُ لطيرٍ عكَفوا حولهُ عكوفَ الوفودِ

وهمُ ينظرون لو طلبوا الوِتْـــر الى واترٍ شَمُوسٍ حَقودِ (٥

قُحْمةٍ لو دنَوا لَثارَ اليهم حَرْشَفٌ قد ثناهمُ لِعديدِ (٦

يا ابن امّي ويا شُقَيِّقَ نفسي انت خلَّيتني لدهرٍ سديدِ (٧

يبلغُ الجُهْدَ ذو الحَصاةِ من القو م ومَن يُلْفَ لاهياً فهو مُودي (٨

كلَّ عامٍ أَرمي ويُرْمى أمامي بسهامٍ من مُخطئٍ وسديدِ

ثمَّ أَوحَدْتَني وأَثْلَلْتَ عرشي عند فُقْدانِ سيِّدٍ ومَسُودِ

من رجالٍ كانوا جمالًا نجوماً فهمُ اليوم صَحْبُ آلِ ثمودِ

---

١) العبءُ الحملُ الثقيل ٢) ويروى: عند حرّانَ غير مَعود اي لا يَعُودهُ احد. وروى العيني: غير مقود. والحرّان الشديد العطش ٣) الصديد الدم والقَيح

٤) ساندوهُ اي اجلسوهُ لمّا رأوهُ لم يقوَ على الاستناد ٥) الشَّمُوس الشرس الخلق

٦) القُحْمة المقتحم الشدائد. ويروى: فَخْمة. والحَرْشف صغار الطير

٧) شُقَيِّق تصغير شقيق وهو الاخ. ويروى: يا ابن خنساءَ. ويروى ايضاً: يا ابن حَسْناءَ ... يا جلاحُ خلَّيتني لشديد. ويروى: لامرٍ شديدِ ٨) ويروى: يبلغ الجَهْدُ ذا الحصاة ويروى: يلفَ واهناً. وذو الحصاة الذي يُقاس لهُ الماء بالحجارة عندما يتصافنون عليها الماء

خـان دهرٌ بهم وكانوا همُ اهـل عظيمُ الفَعـال والتمجيـدِ
مانعي باحةِ العراقِ من النا س بجُردٍ تعدو كمثل الأُسودِ (١
كلَّ عامٍ يَلْثِمْنَ قوماً بكفِّ الد هر جمعاً وآخـذٍ في مَزيـدِ (٢
جـازعـاتٌ اليهمُ خُشُعَ الأَوْ داةِ تَسقى قرباً ضَياح المديدِ (٣
مُسنِفـاتٌ كأنَّهنَّ قنـا الهِنـدِ ونَسِّي الوجيفُ شَغْبَ المَرُودِ (٤
مستحيراً بها الهُـداةُ اذا يقـطَعْن نجداً وصَلْنَـهُ بنجودِ (٥
فانا اليوم قَرْنُ أَعضبَ منهم لا أرى غير كائدٍ ومَكُودِ (٦
غيرَ ما خاضعٍ لقومٍ جَناحي حين لاحَ الوجوهُ سُفْعَ الخدودِ (٧
كانَ عَنّي يردُّ دَرْأَكَ بعـد م اللهِ شَغْبُ المستصعَبِ المِرِّيدِ (٨
مَنْ يَكِـدْني بسَيٍّءٍ كنتَ منهُ كالشَّجا بين حلقـهِ والوريـدِ (٩
أَسدٌ غيرُ حيـدرٍ ومُلِثٍّ يُطلعُ الخصمَ عَنْوَةً في كؤودِ (١٠
وخطيبٌ اذا تمغَّرَتِ الأَوْ جهُ يوماً في مأزِقٍ مشهودِ (١١

١) ويروى : مانعي . . . بمثل الاسودِ ٢) يَلْثِمْنَ يَكْسِرْنَ . ويروى : وأخذ حيٍّ فَرِيدِ ٣) ويروى : خُشَع . . . قوتاً صباح المديد

٤) المسنفات الخيل المتقدّمة ويروى : شُعْث المدود وفي اللسان : الشغب المَرَح . والمَرود والمارد الذي يجيءُ ويذهب نشاطاً ويروى : قنا الخطّ لطول الوجيف صُعْر الخدودِ

٥) المستحير المتحيّر . والنجد المكان المرتفع . والهداة الادلّاء ٦) اي صرتُ بعد الميت كالكبش الأَعضَب الذي لا قَرْنَ لهُ ٧) الاسفع الاسود في بياض . ويروى : شفع الخدود . وسبّ الوفودِ ٨) ويروى : كان مني . الدرء الدَفْع . والشَغْب تهييج الشرّ . والمِرّيد المبالغة من المارد والشرّير . ويروى : شغبُ المستصعب ٩) ويروى : من يَرِدني . كادهُ اي خدعهُ ومَكَرَ بهِ . الشجا العظم يعترض في الحَلْق . والوريد عرق في العنق

١٠) الحيدر القَصير . والمُلِثّ اللَّجُوج والعنْوة القَهْر . والكؤود العقَبة الشاقّة

١١) تمغَّرت احمرَّت كأنها طُليت بالمُغرة . المأزق موضع الحرب الشديد القتال

وُمطيرُ اليَدَيْن بالخير للحمـــدِ اذا ضنَّ كلُّ جِبْسٍ صَلودِ (١

أَصْلَتيٌّ تسمو الـعيون اليـهِ مستنيرٌ كالبدر عامَ العهودِ (٢

مُعمِلُ القِـدْر بارزُ النار للضَّيْـف اذا همَّ بعضُهم بجُمودِ

يعتلي الـدهرَ ان عَلا عاجزَ القَو م وينمي للـمستَمِّ الحميـدِ

واذا القومُ كان زادُهمُ اللحــمَ فَصِيدًا منهُ وغيرَ فصيدِ

وسَعَوا بالمطيِّ والـذُّبل السُّـمْرِ لعَمْيـاءَ في مَفارطِ بيدِ (٣

مستحيرًا بها الرياحُ فـلا يَجْـتابُها في الظَّلامِ كلُّ هَجُودِ (٤

وتخال القريضُ فيهـا غنـاءً للندامى من شاربٍ غِرّيدِ (٥

قال سِيروا انَّ السُّرى نُهْزةُ الاكيــاس والغَزْوِ وليس بالتمهيـدِ (٦

واذا ما اللَّبُون سافَتْ رماد الــحيّ يوماً بالسَّمْلقِ الأُملودِ (٧

بدَّلَ الغَزْوُ أَوجُـهَ القومِ سودًا ولقـد ابـدأُوا وليست بسُودِ

ناط امرَ الضعـافِ واحتفلَ الـلَّــيل كحَبْل العاديَّة الممـدودِ (٨

في ثيـابٍ عِمـادُهنَّ رمـاحٌ عند جوعٍ يسمو سموَّ الكبُودِ

كالبـلايا رؤوسُهـا في الولايا سانحاتِ السَّمُومِ سُفْعَ الخُدودِ (٩

---

١) الجبس اللئيم. والصَّلود القاسي الذي لا تندى يدهُ بخير ٢) ويروى: اصلتيًّا... مستنيرًا. والاصلتيّ السريع. والعهود الامطار ٣) العمياء التي لا طريق لها. والمفارط المهلكات. والبِيد جمع بَيداء الفلاة المُبيدة لسالكها. ويروى: الذُّبل الصمّ

٤) المُستحير الطريق في المفازة لا يُعرف لها منفذ. ويروى: مستجرًا ٥) ويروى: وتخال النريق. وتخال العزيف ٦) ويروى: وليس بالتهميدِ ٧) اللبون ذات اللبن. سافت شمَّت ويروى: شاقت.. والسَّملق التي لا نبات فيها. والاملود الذي لا ورق فيهِ

٨) ناطَ علَّقَ ورفع. والعاديَّة الطريق.. والحَبْل اثر الناس ٩) الولايا جمع وليَّة وهو ما يلي الظهر تحت الكور. والبلايا جمع بليَّة وهي الناقة تُحبس عند قبر صاحبها في الجاهليَّة. سانحات مُعطيات ويروى: مانحات. والسَّموم الريح الحارّة

ان تَفُتْني فـلم أَطِبْ عنك نفساً غير اني أُمْنَى بـدهر كَـنُودِ(١

كلَّ عـامٍ كـأنهُ طـالبٌ وِتْـراَ الينا كالثائر المستقيدِ(٢

هذا ما امكنَّا ان نجمعهُ من شعر ابي زبيد . ولـهُ في المعاجم وكتب الادب ابيات مفردة عديدة يُستدلُّ منها انهُ كان غزير المادَّة ذا قريحة واسعة . ولعلَّ بعض الرواة جمعوا شعرهُ في ديوانٍ ففُقد بآفات الدهر والله اعلم

وبابي زبيد هذا نختم القسم الأوَّل من كتابنا في شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام فننتقل من المخضرمين الى الشعراء الذين برَّزوا في عهد الدولة الامويَّة قريباً ان شاء الله



١) المستقيد الذي يطلب القَوَد من غيرهِ ٢) ويروى: كَبُودِ

فهرس

القسم الاوَّل من شعراء النصرانية بعد الاسلام

الشعراء المخضرمون

sa religion et à sa politique, ce fut pour le Christianisme une véritable débacle. Quelques épaves échappèrent pourtant à ce naufrage, au prix de bien des sacrifices.

C'est parmi ces restes de Christianisme que nous avons cherché à glaner un certain nombre de poètes chrétiens, dont nous donnons les notices et les poèmes, recueillis dans les ouvrages en partie inédits d'anciens Littérateurs, Linguistes ou Historiens.

Ce premier fascicule contient les noms d'une quinzaine de poètes, qui vécurent en partie avant et après l'apparition de l'Islam et qu'on nomme pour cela Moḥaḍramîn, الحضرمون او المخضرمون comme qui dirait les *Métis* ou les *Hybrides*. Parmi ceux que nous citons, il en est qui se laissèrent gagner par les faveurs et les postes d'honneur que leur offrit Mahomet. Tels sont Zibriqân ibn Badr, ʿAdî ibn Ḥatim aṭ-Ṭayi. Malgré leur défection intéressée ou forcée et plus apparente que réelle, nous n'avons pas cru devoir les exclure de notre recueil, leurs antécédants chrétiens étant sûrs.

De plus les poésies de la plupart de ces poètes se ressentent comme ceux de leurs contemporains des troubles qui agitaient alors l'Arabie. Il en est cependant qui méritent une mention spéciale, comme al-Naǵaši et Abou Zobeid, dont les vers comme ceux des grands poètes font autorité pour la langue et sont cités dans les grands Lexiques du Ṣiḥaḥ, de Lisân al-ʿArab, de Tâj alʿArous.

On ne peut cependant nier que les Poètes chrétiens de la période suivante, du temps des Omayyades, qui formeront le sujet d'un second fascicule, ne soient plus brillants. Le calme relatif de cette seconde époque et la tolérance de quelques Caliphes ont dû contribuer à donner un nouvel élan au génie d'un Aḫtal ou d'un Qoṭâmî.

Ce recueil de poètes chrétiens postislamiques est dans notre intention une légère contribution à une Histoire du Christianisme dans l'Orient Musulman, bien capable, croyons-nous, de tenter la plume d'un de nos savants Orientalistes modernes.

Beyrouth 3 *Décembre* 1923.

LES POÈTES ARABES CHRÉTIENS APRÈS L'ISLAM

1er *Fascicule*

PÉRIODE DE TRANSITION

Nous avons essayé de démontrer dans notre ouvrage « *l'Histoire et la Littérature chrétienne avant l'Islam* », combien grande était la part du Christianisme dans la civilisation des diverses parties de l'Arabie préislamique, parmi les royaumes de Ghassân, de Ḥirâ, de Kinda et du Yémen. Nous en avions conclu au Christianisme plus ou moins avoué de plusieurs poètes issus de ces tribus chrétiennes, nous fondant sur l'absence totale d'idées païennes dans leurs écrits, de tout acte de paganisme dans leur vie, et montrant au contraire, combien se faisait sentir dans leurs poèmes l'influence du Christianisme.

Malheureusement ce Christianisme n'était pas toujours pur de tout alliage. Des hérésies, signalées en Arabie par les Pères de l'Église aux trois siècles qui précédèrent l'Hégire, avaient corrompu en partie le bon grain. D'autres sectes, fuyant l'intolérance des rois de Byzance, s'étaient refugiées en Arabie où elles avaient semé de nombreuses erreurs. Le Nestorianisme en particulier et l'Eutychianisme son rival, avaient dans toute la Péninsule un grand nombre d'adeptes. Ils avaient toute une hiérarchie, des évêchés, des églises, des couvents sur tous les points du pays : mais leurs dissensions, leur esprit de prosélytisme les avaient affaiblis, et quand parut l'Islam avec ses bandes farouches, ses mœurs libres, ses promesses alléchantes, sa perspective de domination mondiale au profit des Arabes, comme aussi avec ses violences contre les réfractaires á

LES POÈTES ARABES CHRÉTIENS

APRÈS L'ISLAM

1er fascicule

PÉRIODE DE TRANSITION

par

LE P. LOUIS CHEIKHO S. J.

IEPRIMERIE CATHOLIQUE

BEYROUTH (SYRIE)

1924

LES POÈTES ARABES CHRÉTIENS

APRÈS L'ISLAM

1er fascicule

PÉRIODE DE TRANSITION

par

LE P. LOUIS CHEIKHO S. J.

IMPRIMERIE CATHOLIQUE
BEYROUTH (SYRIE)
1924

ol.
78
9
59
1
24
Bibliotheca Alexandrina
0428686